



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عبد الحميد بن باديس – مستغانم -
كليةالأدب و الفنون
قسم الدراسات الأدبية و النقدية

التخصص: الأدب و الحضارة العربية

مذكرة التخرج لنيل شهادة الماستر

حوار الحضارات في أدب ابن بطوطة

من إعداد الطالبة:

الأستاذ المشرف:

بلمكي نبيلة-بن عز علي

السنة الجامعية: 2017/2016

إهــداء

الحمد لله الذي أنار لي درب العلم و المعرفة و أعانني على أداء الواجب ووفقني إلى إنجاز هذا العمل.

يشرفني أن أهدي ثمرة جهدي و عملي إلى: ينبوع الحنان و الدفـئ و الأمـان "أمـــي"

والى تاج رأسـي "أبــي الغالـــي"

إلى حبيبة قلبـي أختـــي "شفيقة و فاطـمة الزهـراء و أخـي عـبد القادر"

والـى كل عائلتي و إلى زوجي الغالي " حبيب"

وإلى كل صديقاتي بمدرسة ولد جلول محمد

" وسيـلة فاطـمة تواتيـة "

و لا أنسى بالذكر صديقتي الغزيزة

" بن يوسف أسماء"

ونتقدم بالشكر الى كل من ساعدني على انجاز هذا البحث المتواضع سواء من قريب أو من بعيد ونخص بالذكر الأستاذ المشرف" بن عزة على" دون أن أنسى إدارة جامعة عبد الحميد ابن باديس(الأدب و الحضارة العربية) التي ساهمت في توجيهنا و مساعدتنا في مجالات مختلفة.

والله الهادي إلى سبيل الرشاد و العلم و المعرفة.

المقدمة

يعد أدب الرحلة من الأنواع الأدبية التي اتسمت بمميزاتها وطابعها الخاص؛ ذلك أن مضمونها يتعرض لمختلف نواحي الحياة السياسية؛ الاجتماعية؛ الاقتصادية؛ الدينية....الخ. غير أنها لم تحظ بالدراسة التي تستحقها مثلما حظيت الأنواع أو الفنون الأدبية الأخرى كالقصة و الرواية وغيرها؛ خاصة في الأدب الجزائري؛ إذ ليست ثمة دراسة نقدية حقيقيـــة تـوفى هذا النوع حقــه، إذا متعلق الأمر برحلة عبــد الله ابن بطوطة (الطنجي) إذ لا يعتبر الباحث على دراسة نقدية معمقة لرحلته.

ومـا زادت إقبالي واهتمامي على هذه الرحلة قراءة قراءاتي لبعض الكتب "حليف شعيب"الموسومة ب"الرحلة في الأدب العربي" حيث نجده يتحدث عن أهم الرحلات الجزائرية كتمهيد لدراسة،الأمر الذي أثار فينا جملة من التساؤلات.

وعليه ارتأينا الخوض في غمار هذا الموضوع بغرض التنقيب في ثناياه وإبرازه إلى الوجود ومن هنا جاء الموضوع بحثي موسوما ب"حوار الحضارات في ادب ابن بطوطة" مقاربة توصيفية ولم يكن اختيارنا لهذا الموضوع وليدة الصدفة بل كان نتيجة تضافر مجموعة من العوامل الذاتية والموضوعية،فالذاتية تتلخص في ميلي وإهتمامي بالأدب الجزائري عامة وبأدب الرحلة خاصة،فأما الموضوعية تتمثل في قلة الدراسات الخاصة بأدب الرحلة،اذ كثيرا ماينصب الإهتمام على دراسة الأدب المشرقي ،وهذا ماحرك الرغبة في نفسي لوجه التعمق فيه،وان جاء الحديث فيه جزئيا في ثنايا الكتب،رغم انه لون أدبي مستقل له مكانته في الأدب الجزائري.وثراء المادة وتنوعها وارتباطها بالقضايا الوطنية والإنسانية إلا دافعا أساسيا في ذلك،وكذا قلة إهتمام برحلة ابن بطوطة وتجاهلها من طرف الباحثين ولعل الغاية من دراستها لهذه الرحلة ايضا إثراء الطابع المحلي.

ارتأينا ان أركز إهتمامي على رحلة ابن بطوطة الموسومة ب "تحفة النظار في عجائب الأسفار والأمصار"وقد أثارنا هذا البحث فينا مجموعة من التساؤلات لعل أهمها:مامفهوم أدب الرحلة؟ ومن هو ابن بطوطة؟ وكيف أسست عوامل الحضارة؟ وما هو البناء الفني لرحلة ابن بطوطة؟ كل هذه التساؤلات وأخرى سعى هذا البحث

للإجابة عنها،ولما كان المنهج ضروريا في البحث فلا مندوحة لنا من الإعتراف بأن تناول ادب الرحلات أو بالأحرى ابن بطوطة يمكن ان يتم وقف منهج واحد لذلك أن هجانة نص الرحلة وتعدد موضوعاتها فرضت علينا ؟أن ندرسها بمنهج هجين أيضا فقد اعتمدنا لنشأة الرحلة على المنهج التاريخي وايضا في دراسة الفضاء الفني على بعض خصائص المنهج البنيوي .وقد جاءت الدراسة على خطة لإنجاز البحث ،حيث قمت بتقسيميه الى مدخل و فصلين ،ففي المدخل قمت بتعريف المفاهيم التالية:أدب الرحلة لغة،اصطلاحا) وكذا الحضارة "لغة واصطلاحا" إضافة الى شخصية ابن بطوطة .وقد يتضمن الفصل الأول طبيعة الرحلة في الجزائر،مضمون الرحلات ،أولا:الرحلات الشعرية،ثانيا: الرحلات النثرية،أنواع الرحلات ،أولا:رحلات واقعية، ثانيا: رحلات خيالية،البنية السردية للرحلة ،خصوصيات أدب الرحلة، قيمة وأهمية الرحلة، عوامل قيام الحضارات ،أهمية الحوار الحضاري.أما في الفصل الثاني "التطبيقي"مقلربة توصيفية رحلة ابن بطوطة بناؤها الفني وموضوعاتها، أولا: قراءة في العتبة ،ثانيا: البنلء الفني للرحلة وشمل عدة عناصر نذكرها كما يلي :اللغة والأسلوب،المنهج،الوصف،الفضاء الزماني والمكاني ،الحوار،ثالثا: مضامين الرحلة وموضوعاتها: الشعرية،النثرية،الحكايات والقصص والأساطر،رابعا: رحلاته وتأثيراتها على ادبه: التفتح الثقافي، تجنيسها.

واعتمدنا في دراستنا على مجموعة من المصادر والمراجع::حليفي شعيب"الرحلة في الأدب العربي، "محمد السويدي" رحلة ابن بطوطة، "فؤاد قنديل"ادجب التراث في الأدب العربي.

ومن أهم الصعوبات التي واجهتها في مشواري اثناء البحث هي:تكرار نفس المعلوات المتعلقة في البحث مما ادى الى اصابتنا الحيرة في حسن توظيف المعلومات.

وفي الأخير حولنا ان نتوج هذا العمل بأهم النتائج والملاحظات التي تضمنتها الخاتمة.

ولكن كما يقال "لو تعلقت همة ابن لأدم بما وراء العرش لنالته "فالمثابرة والعمل الجاد من الله عزوجل تمكنت من تغطيةجزءا بسيطا من هذا البحث.

لذلك مانا إلا بشر يصيب ويخطئ، يتذكر وينسى،يعلم ويجهل فان وجدتم نقصا فمني وان وجدتم صوابا فذلك من الله عزوجل والكمال لله وحده.

المدخل

مفهوم أدب الرحلة:

لغة:

لقد عمدنا إلى البحث عن دلالة كلمة رَحَلَ في بعض المعاجم العربية،و اللافت للنظر أن ّدلالة هذه الكلمة تكاد تكون متشابهة عند المعجميين العرب ، حيث يذكر ابن منظور أنّ : "الرَّحْلَ مركب للبعير و الناقة و جمعه أرْحُل و رِحَال و الرَّحل في غير هذا منزل الرّجل و مسكنه و بيته ، و انتهينا إلى رِحَالنا أيْ منازلنا و رحل البعير أَرْحَلَهُ رَحلاً فهو مَرْحُول و رَحِيل، و ارْتَحَلهُ جعل عليه الرَّحْل و يقال رَحَلَتْ البعير أرْحَلَهُ رَحْلاً إذا علوته، و أَرْحَلَ الرّجل البعير إذا أخذ بعيرا صعبا فجعله رَاحِلَة و الرَّاحِلَة من الإبل البعير القويّ على الأسفار و الأحمال، و هي التّي يختارها الرّجل لمَركبه و رَحيِله...و يقال رَحَلَ الرّجل إذا سار و رجل رَحُول ٌو قوم رُحَّل أي يَرْتَحِلُون كثيرا ، و الإرْتِحَالا لإنتقال و الرِّحلة اسم للارْتِحَال و المَسير ، و الرُّحْلَةَ بالضم الوجه الذي تأخذ فيه و تريده، و الرِّحْلَة السَّفْرَة الواحدة ، و الرَّحِيل اسم ارتِحَال القوم للمَسِير و قد يكون المُرْتَحِل اسم المَوْضِع الذي يَحُلّفيه و الرِّحْلَة في اللغّة التَّرْحِيل و الارْتِحال بمعنى الأشخاص و الإزعاج(1).

إنّ المتأمل في كلام ابن منظور يلفي أنّ كلمة 'رِحْلَة 'تدل على السّير و الضّرب في الأرض و الانتقال و الجِهة الذي يُراد السّفر إلِيه، و يطلق على لفظ رِحلة على من انتقل من مكان لآخر و منه أخذ لفظ رحال و هو الشخص المنتقل من مكان لآخر ، و لهذا فالشخص الذي قام بالرِّحلة قد ترك موطنه و انتقل إلى مكان آخر لذا كان لفظ رحلة أعم ما يطلق على المسافر من مكان لأخر.

1-ابن منظور-لسان العرب-ج11-دار صادر بيروت-ط3-س1994-ص276

إنّ المتأمل في كلام ابن منظور يلفي أنّ كلمة 'رِحْلَة 'تدل على السّير و الضّرب في الأرض و الانتقال و الِجهة الذي يُراد السّفر إِليه، و يطلق على لفظ رِحلة على من انتقل من مكان لآخر و منه أخذ لفظ رحال و هو الشخص المنتقل من مكان لآخر ، و لهذا فالشخص الذي قام بالرِّحلة قد ترك موطنه و انتقل إلى مكان آخر لذا كان لفظ رحلة أعم ما يطلق على المسافر من مكان لأخر.

إنّ المتأمل في كلام ابن منظور يلفي أنّ كلمة 'رِحْلَة 'تدل على السّير و الضّرب في الأرض و الانتقال و الِجهة الذي يُراد السّفر إِليه، و يطلق على لفظ رِحلة على من انتقل من مكان لآخر و منه أخذ لفظ رحال و هو الشخص المنتقل من مكان لآخر ، و لهذا فالشخص الذي قام بالرِّحلة قد ترك موطنه و انتقل الى مكان آخر لذا كان لفظ رحلة أعم ما يطلق على المسافر من مكان لأخر.

و يذهب ابن فارس في معجمه مقاييس اللغة إلى أنّ:"الرَّاء و الحَاء و اللاَّم أصل واحد يدل على مُضي في سفر يُقال رَحَلَ يَرحَل و جمل رَحيل ذو رحلة إذا كان قوي على الرّحلة"(1) و معنى هذا أنّ كل كلمة اجتمعت فيها هذه الحروف لم يخرج معناها عن الحركة و السير و نجد في كلامه هذا اتفاقا مع ابن منظور بل هو تكرار له و تجدر الإشارة إلى أن ّالقران الكريم حفل بالعديد من الأمثلة التي تشير إلى هذه المعاني على الرغم من عدم ورود لفظة رحلة فيه إلّا في قوله عز و جل : "لإيلاف قريش إلافِهِم رحلة الشّتاء و الصّيف" (2)

2-أحمد بن فارس-مقايس اللغة-المجلد الثاني-دار الجيل-بيروت-دت-ص 446

3-سورة قريش-الآية رقم 01

اصطلاحا:

حينما نحاول أن ندقّق في تحديدنا لمصطلح الرّحلة أو أدب الرحلة نصطدم بصعوبات كثيرة إذ تظهر لنا متناقضات شتى ، و لعل مرد ذلك راجع إلى اختلاف الباحثين في تحديده و تباين آراءهم في ذلك ، حتى أنّه يتعذر على الواحد منهم التفريق بينه و بين ضروب الفن الأخرى كالقصة و الرواية و السّيرة أو غيرها، ذلك أن أدب الرّحلة هو نص جامع لمجموعة من الاختصاصات. و لعل هذا ما حذا بالباحث (بولعسل كمال) في دراسته ب "رحلة أبي حامد الغرناطي دراسة في الفضاء إلى القول :أنّ النّاقد المقتحم لهذا الفضاء المعرفي سوف يقف حائرا أمام الإشكالي الّذي يمتنع عن التّصنيف و الانكشاف النّقدي، و لعل أنّ أدب الرّحلة كان محل نزاع بين عدد من الباحثين في اختصاصات مختلفة يتضمّنها هذا الخلْق الأدبي لعلماء الجغرافيا و الأنثروبولوجيا و الأثنوغرافيا.(1)

و معنى أنّ أدب الرّحلة هو خطاب يتسع لكثير من العلوم و القطاعات اللأمر الّذي جعل الباحثين يحاولون تمزيق هذا النص قطعا لصالح مناهجهم و اختصاصاتهم ، محاولة منهم في فهم الشعوب و الحضارات القديمة، و اكتشاف انماط العادات و التّقاليد الاجتماعية.و لهذا يذهب الباحث "حسني محمود حسين " إلى أنّ نمط الرّحلات يتعرض إلى جميع نواحي الحياة، إذ تتوفر فيه فائدة وفيرة مما يهم المؤرخ و الجغرافيا و علماء الاجتماع و الاقتصاد و مؤرخي الأدب و الأديان و الأساطير، فالرّحلات منابع ثروة لمختلف العلوم و هي بمجموعها سجّل حقيقي لمختلف مظاهر الحياة و مفاهيم أهلها على مر العصور (2).

1-بولعسل كمال-رحلة أبو حامد الغرناطي-دراسة في الفضاء-دار السويدي-ابو ظبي-ط1-س2003-ص11

2-حسني محمود حسين-أدب الرّحلة عند العرب-دار الأندلس-بيروت-ط2-س1983-ص06

إنّ أدنى تأمّل في هذا التعريف يجعلنا ندرك القيمة التي يحظى بها أدب الرّحلات مقارنة بفنون الآداب الأخرى، و ليس معنى ذلك أننا ننتقص من قيمة الفنون الأخرى و لكن قلمّا يحوي مثل هذا الكمّ من المعارف.

و يصف الباحث (حليفي شعيب) الرِّحْلة بأّنها:"إحدى الأشكال الكبرى للأدب"(1)، و نستنتج من خلال هذا التحديد الذي جاء به أنّة يجعل من كل الأشكال الأدبية فروعا تنبثق من الرّحلة.

و تجدر الإشارة بنا إلى أن ّادب الرّحلة عند "عبد الله ركيبي": من الفنون الأدبية التي شاعت لدى العرب منذ القدم ، و هو فن له خصائصه المعينة بل أنّة كما يقول الدكتور "شوقي ضيف "يرفع التي ترى أّن الأدب العربي لم يعالج فن القصة"(2)

لأنّ الحديث عن الأمم ووصف المجتمعات التي يمر بها الرّحالة و يقصدها إنمّا هو بصورة ما لون من ألوان القص.

أمّا الباحث الجزائري "مرتاض عبد المالك" فيصف هذا الفن على أساس أنه لون من أدب المذكرات(3)

الحضارة لغة:

لقد عمدنا إلى البحث عن كلمة حضر في المعاجم العربية ، غير أنّ هذه التعريفات تصب في هدف واحد و يذكر البعلبكي :"أنَّ حَضَّرَ ضد البَدَاوَة –حضارة مدنية-مناطق مُتُمدِّنة(4).

1- حليفي شعيب-الرحلة في الأدب العربي-دار النشر و التوزيع القاهرة-ط1-س2006-ص81

2- عبد الله ركيبي-تطور النثر الجزائري الحديث-المؤسسة الوطنية للكتاب-الدار العربية للكتاب-دت-س-44

3- ينظر-عبد المالك مرتاض –فنون النثر الأدبي في الجزائر-ديوان المطبوعات الجامعية-دت-س1983-ص293

4- روحي البعلبكي-المورد الثلاثي-دار العلم للملايين-لبنان-ط1-س2004-ص707

إنّ القــارئ لهــذا المفهــوم يعــرف أنّ الحَضَــارَة َمــا هــي إلاّ تَمَــدُّن و مَدَنِيَــة ، و يــذهب أيضــا ابــن فــارس فــي معجمــه مقــايس اللغــة إلــى أن ّ: الحــاَء والضَّــاد و الــرَّاء إيــراد الشــيء ووُرُوده و مُشــاهدته و قــد يجــيء مــا يبعــد عــن هــذا وإنْ كان الأصل واحد، فالحَضَرُ خلاف البَدْو و سُكُون الحَضْر الحَضَارَة.

قال الوافر:"فمن تكن الحضارة أعجبته فأيّ رجال بادية ترانا.

قــال أبــو زيــد بالكســر و قــال الأصــمعي : هــي الحَضَــارة بــالفتح فأمــا الحُضْــر الــذي هــو العــدو لأن الفــرس و غيــره يحضــران مــا عنــدهما مــن ذلــك ، يقــال أَحْضَــرَ الفــرس وهــو فــرس محْضِــير ســريع الحُضْــر ومِحْضــار ويقــال :حاَضَــرْت الرجــل إذا عــدوت معــه وقــال العــرب: اللــبن مَحْضُــور فمعنــاه كثير الآفة.

ومعنــاه كــل كلمــة اجتمعــت فيهــا هــذه الحــروف تــدل علــى التَحَضُّــر و التَّمَدن.(1)

و ذهــب ابــن المزهــر فــي معجمــه تهــذيب اللغــة: إلــى أنَّ الحَضَــر خِــلاف الَبــدْو و الحَاضِــرَة خــلاف الباديــة و أهْــل الحَضَــر ، و أهــل البــدو و الحَاضِــرة الّــذين حَضَرٌوا الأمصار و مساكن الدّيار التي يكون بها قرار.

و قال الليث: الحَضْرَة قرب الشيء كنت بحضرة الدار.(2)

و لقــد اجتمعــت هــذه المفــاهيم اللغويــة تحــت اســم واحــد و كلهّــا ترمــي إلــى أنّ الحَضَارَة عكس البادية.

1-أحمد بن فارس-مقاييس اللغة-ص302

2-الأزهر-تهذيب اللغة-م3باب الحاء-دار الكتب العلمية-لبنان-ط1-س2004-ص249

مدخل:

تعريف الحضارة اصطلاحا:

هو كيان اجتماعي موحد قابل للفهم بمعزل عن جميع الظواهر الاجتماعية التي قد تبرز في بعض أجزاء هذا الكلّ الاجتماعي العُضوي فهي وِحدة حضارية تهيّء للدّارس أنْ يفهمها فهما يعبّر عنه إلى تعيين و تحديد عوامل نُشوء هذا الكلّ و عوامل اندثاره أيضا(1).

إنّ المتفهم أو القارئ لهذا التعريف الشُّامل يعد الحضارة من الطرق التي دعمت و ساهمت في بناء الكيان الاجتماعي في سهولة و يسر بعيدا عن العوامل الاجتماعية.

و قد تنوع لفظ الحضارة من وجهات مختلفة فقد عرفه "سليمان الخطيب" أنّ الحضارة تعني النتاج التاريخي لتنظيم المعيشة، و ذلك من مشاركة الجماعة فتصور الحضارة يكتمل بلغة الجماعة التي تنتمي إليها، و كذلك تقاليدها و عاداتها و قوانينها و ما تحتويه أفكارها التي تحركها، والاعتقادات و القيم و الوسائل المادية و الأنماط المختلفة(2).

و هكذا ترعرعت الحضارة في ظلّ العامل التاريخي الذي أسهم بدوره إلى بناء حياة الجماعة اليومية بعاداتها و تقاليدها و أعرافها المختلفة حسب حضارة كل إنسان مُتَحَضِّر.

1-سليمان الخطيب – أسس مفهوم الحضارة-ديوان المطبوعات الجامعية-بن عكنون الجزائر-دت-ص17-18

2-عبد الرحمن بن محمد بن خلدون-مقدمة ابن خلدون-ج1-دار النهضة-مصر-ط4-س2006-ص306

وقـد عرفتهـا الأسـتاذة نبيلـة حسـن ,بـأن الحضـارة تشـمل كـل أنـواع النشـاط الإنسـاني مـن مـادي أو عقلـي أو روحي,وهـذه الحضـارة التـي قصـدها ابـن خلـدون و هـي التـي قامـت مـع قيـام الإسـلام و انتشـرت فـي كـل بقـاع الدولـة الإسـلامية مـن أقصـى الشـرق إلـى أقصـى المغـرب و حلـت محـل الحضـارات القديمـة فـي الشـام التـي عرفـت الحضـارات الفينيقيـة و الآراميـة و الكنعانيـة و التـي انصـبغت آخـر الأمـر بالحضـارة الرومانيـة البيزنطيـة ومـع أن دولـة الإسـلام أحـدث مـن كـل هـذه الحضـارات القديمـة إلا أنهـا تمثلـت كـل مـا أخذتـه منهـا و صـبغته بالصـبغة الإسـلامية و لمـا كـان الإسـلام هـو رسـالة العـرب, كـان مـن الطبيعـي أن يصـبح طـابع هـذه الحضـارة الطـابع العربـي و بنـاء علـى ذلـك فهـي الحضـارة العربيـة قبـل أن تكون الحضارة الإسلامية

و هكـذا كانـت اللغـة العربيـة عـاملا مـن العوامـل الرئيسـية فـي نشـأة و تطـور الحضارة التي بحق الحضارة العربية (1).

لعبـت اللغـة العربيـة دورا بـارزا فـي بنـاء و تطـور الحضـارة العربيـة الإسـلامية مما أدى الى جعلها تمتاز بميزة العروبة و الإنسانية.

وفـي تعريـف لـ سـالم المعـوش: هـي كيـان ثقـافي يحتـوي علـى مجموعـة مـن القـيم و المؤسسـات و أسـاليب التفكيـر التـي تتشـبث بهـا أجيـال متتاليـة داخـل مجتمـع مـا، كمـا يحـددها هنتغتـون المشـكوك فـي مقالاتـه و لـم يتفـق المنظـرون علـى فهـم واحـد للحضـارة قـد يتغنـى جـابين: الأول: هـو الثقـافي- العـالم- العقلـي أي الـذات و الثـاني هـو العـادات و ينحصـر مفهـوم الحضـارة فـي الإبـداع الروحـي المـادي لشـعب مـا، و يتواصـل هـذا الإبـداع مـن شـعب لآخـر و مـن عصـر إلـى عصـر و مـن المنطـق ألا يكـون الصـراع فـي الإبـداع المتواصـل و مـن هـذا المنطـق لا يكـون الصـراع بـين الحضـارات و إنمـا بـين الأفـراد و الجامعـات حـين تتنـازعهم المصـالح فيمـا بينهم (2)

1-نبيلة حسن محمد – تاريخ الحضارة الإسلامية- دار المعرفة-الإسكندرية د - ت - س2007 ص 10-11

2-سالم المعوش- الأدب و حوار الحضارات- دارالنهضة العربية - بيروت - ط1 س2007

لعبت اللغة العربية دورا بارزا في بناء و تطور الحضارة العربية الإسلامية مما أدى الى جعلها تمتاز بميزة العروبة و الإنسانية.

وحسب ما ورد أن الحضارات لا تقوم على صراعات أو صدامات، فالطبع أن الصراع غالبا ما يكون بين أفراد حول قضية ما، وأن البشر يتنوعون في صناعاتهم. لذلك تعددت الحضارات و تبادلت الخبرات و أنها في زمن متغير، و هذا ما يحمي الإنسانية من غوائل الصدام و النزاع

و هي تشمل الثقافات و القيم و التراث و مجمل الآثار الروحية و المعنوية بما فيها الفكر و الدين و الأدب و الفلسفة و معظم المعارف و العلم و كل ما فكربه الإنسان من أجل الوصول إلى الأفضل نظريا و عليها كما تعني إنتاج الآثار المادية التي يحتاجها الإنسان لرفاهيته.... (1)

وفي المحصلة انم الحضارة انتقلت عبر الزمن من حياة البداوة إلى التمدن التي بلورها الفرنسيون لتشمل كل شيء من معارف و عمران و ذوق و إبداع، و هي إقامة في الحضر.

وقد عرفه غارودي : أن الحوار بين الحضارات وحده يمكن أن يولد مشروعا كونيا يتسع من اختراع المستقبل. ذلك ابتعاد أن يخترع الجميع مستقبل الجميع، وكما يرى أن الحضارات بين الغربيين و إلا غربيين هو الشرط الرئيسي للتغيير الثقافي و لسائر ألوان التغيير الاقتصادي و السياسي.....(2)

يعتقد غارودي من الواجب على الغرب أن يتعلم من الحضارات الأخرى و أن الفرد ليس مركز كل شيء.

1- حسن مؤنس- الحضارة- سلسلة عالم المعرفة - الكويت - د- ت- س1978 ص 35 - 36

2- عبود المحمداوي - خطاب الهويات الحضارية من الصدام الى التسامح - دار الروافد ط1 س 2012-ص59

وقد عرفت الحضارة عند مجدي وهبة: أنها هي مرحلة سامية من مراحل التطور الإنساني، وجملة من مظاهر الرقي العلمي و الأدبي الذي ينتقل من جيل إلى أخر في مجتمعات متشابهة، وهناك حضارات قديمة و أخرى حديثة شرقية و غربية و الحضارات متفاوتة فيما بينها.ولكل حضارة نطاقها وطبقاتها و لغاتها ...(1)

وقد تطورت الحضارات حسب المراحل المتفاوتة من الهمجية إلى الرقي و الازدهار و تتسم كل حضارة بمجالها المناسب و ما يميز كل مجتمع بلغة معينة.

وقد جاء في كتاب معالم الحضارة بأن الحضارة في اللغة العربية لها دلالة مكانية تحمل مجالاتها معنى الحركة،و قد تطورت لتحمل دلالة التعاون و التآزر وتبادل الأفكار والمعلومات في شتى شؤون الحياة،وعند ابن خلدون الحضارة إنما هي تفنن في الترف، وأحكام الصنائع المستعملة في وجوهه، ومذاهبه من المطابخ و الملابس و المباني و الفرش، وسائر عوائد المنزل و أحواله ..(2)

لقد بين ابن خلدون أن الحضارة لا تظهر إلا في المدن و القرى، و أنها غاية العمران و استجادة، والكلف بالصانع و سائر الفنون و أن الحضارة عنده لا تظهر في البادية لاقتصار البدو على الضروري من العيش الذي يحفظ.

1- مجدي وهبة - معجم المصطلحات العربية في اللغة و الأدب - مكتبة لبنان - بيروت ط2 - س 1984-ص151.

2-اسمعيل سامعي معالم الحضارة العربية الإسلامية- ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر8 - س 2007- ص15

وكثـرا مـا نقـرأ عـن آداب الـرحلات و يتبـادر الـى أذهاننـا دائمـا ابـن بطوطـة الذي يتعلق اسمه بهذا الأدب.

فقـد عـرف التـازي عبـد الهـادي ابـن بطوطـة : أنـه أبـو عبـد الله محمـد بـن عبـد الله ابـن إبـراهيم الطنجـي فـي مدينـة طنجـة فـي يـوم الاثنـين 17 مـن شـهر رجـب سـنة703هـ/24 فبرايـر سـنة 1314 لأب مـن أوسـاط النـاس و كـان مفطـور علـى حـب الرحلـة و السـفر و التجـوال، وبـدأ رحلتـه سـنة725قاصـدا الحج،وكـان فـي عمـره 22 عامـا حيـث قـال د. حسـن مـؤنس: " ان ابـن بطوطـة كـان مهيـأ نفسـيا و جسـديا لمطلـب المسـير الـذي أراد و أعـان الله عليـه، فاسـتمتعنا بمـا أراد و أمتعنـا معـه بلطـائف حديثـه فـي رحلتـه أنـه كـان يذكر كل شيء حتى الساطع الذي يلم به.....(1)

كانـت هنـاك عـدة تعـاريف حـول الرحالـة المعـروف و المكتـوب عنـه عـدة مقـالات و نـذكر حسـب المؤلـف محمـد السـويدي أنـه قدمـه فـي أسـطر: و هـو محمـد بـن عبـد الله بـن محمـد ولـد بـالمغرب الأقصـى و تـوفي سـنة 1377 للمـيلاد، نشـأ فـي أسـرة تنتسـب إلـى قبيلـة لواتـه، المعروفـة بـالعلم و الـدين و الإفتـاء، و مـن ثـم تلقـى تعليمـه إلـى علـوم الـدين و الفقـه و حفـظ القـرآن، إلـى أن بلـغ سـن العشـرين فخـرج مـن مدينـة طنجـة يـوم الخمـيس 2 رجـب 725 للهجـري، الموافـق لسـنة 1322 للميلادي،فقـد قطـع فـي رحلاتـه 175 ألـف ميل، و كان لديه إحساس ذاتي بظروف حضارة العالم.

و المعـروف دائمـا أن حـل هـذه المفـاهيم قـد تصـب فـي عنـوان واحـد أنـه ابـن إبراهيم و أصبحت كلها متشابهة، أنه تميز بالصدق و التوثيق.

1- التازي عبد الهادي- أمير الرحالة (ابن بطوطة) دار المعرفة – القاهرة- ط1- س 2002-ص55.

2- محمد السويدي- ابن بطوطة- ج1 – دار موفم- 1989- ص1

و المعــروف دائمــا أن حــل هــذه المفــاهيم قــد تصــب فــي عنــوان واحــد أنــه ابــن إبراهيم و أصبحت كلها متشابهة، أنه تميز بالصدق و التوثيق.

وفــي تعريــف ابــن جبيــر: أن ابــن بطوطــة لقــب بشــمس الــدين،و أســاق بحــب الأســفار و جزيــرة العــرب و الإفريقيــة الشــرقية، وأســيا الصــغرى، و روســيا الجنوبيــة و الهنــد و الصــين، و الأنــدلس و الســودان و اســتغرقت رحلاتــه الثلاثــة 29 ســنة ، و لــم يتــرك فيهــا ناحيــة مــن نــواحي المغــرب و المشــرق، إلا وقــد زارهــا.وأكثر مــا كانــت إقامتــه فــي الهنــد حيــث تــولى القضــاء ســنتين ثــم فــي الصــين حيــث تــولى القضــاء ســنة و نصــف فوصــف كــل مــن شــاهده و عرفــه فيهمــا مــن ســلاطين و خــوتين، و أناســي رجــالا و نســاء ووصــف ملابســهم و عــاداتهم و ضــيافتهم و ترتيــب مــآكلهم و مشــروباتهم، ومــا حــدث فــي أثنــاء إقامتــه مــن حــروب و غــزوات و ثــورات و فتــك الســلاطين و الأمراء و رجال الدين.

وكانــت عطفتــه الدينيــة تدفعــه إلــى زيــارة المســاجد و الزوايــا، فلــم يتــرك زاويــة إلا وقــد زارهــا و نــزل ضــيفا عليهــا حتــى أنــه زار جبــل ســرنديب المكان الذي يقال إن فيه أثر قدم آدم أبي البشر.. (1)

و الجــدير بالــذكر أن معظــم تعــاريف ابــن بطوطــة كــان هدفــه واحــد و هــو زيــارة بيــت الله الحــرام، وعاطفتــه القويــة بالــدين أبــت عليــه إلا أن يصــدق دون تمحيص.

1-محمد بن محمد الجبير – رحلة ابن جبير- دار القصبة- للنشر- الجزائر د-ت-س ص 213.

أنواع الرحلات: يمكن تقسيم الرحلات الى قسمين: رحلات واقعية و رحلات خيالية.

رحلات واقعية:

في رحلات فعلية قام بها الرحالة لغرض من الأغراض و هي ذات قيمة عظيمة لما سجله من حقائق في الجوانب التاريخية و الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية و الجغرافية، و من أشهر الرحلات الفعلية إلى الحج كانت إحدى أهم الرًحلات التي تقوم بوازع ديني، فالحج كما نعرف فريضة واجبة، كان يستغرق من الشهور إلى السنين إلى السنوات قديما لبعد المسافات كانت تجمع بين الوازع الديني و الروحي و المعرفي و كانت هذه الرحلات القديمة في عالمنا في الشرق تشير إلى نجاح هذه الرحلة، و الشائع في بلاد المغرب للرحلة هو ذلك الذي تكون فيه دوافع روحية و يستهدف في زيارة الأماكن المقدسة لأداء فريضة الحج، و من أشهر هذا النوع من الرحلات رحلة ابن بطوطة وابن فضلان، و رحلة ابن جبير(1)

سجلت عبر هذه الرحلة وقائع حقيقية متنوعة في كل الجوانب،وأكثر ما يسلط على هذا النوع هو فريضة الحج التي قامت على وازع ديني وقد توجت بنجاح مثال: رحلة ابن بطوطة.

رحلات خيالية:

وقد تبرز في تلك الرحلات الباطنية التي يقوم بها المتصوفة، وتتطلب تجربة معيشية على مستوى الواقعي وأخرى ذهنية للعالم متخيًل ينجح إلى صوغ أفكار و تأملات تتماشى مع المقولات و التطورات الصوفية الفلسفية و الدينية التي ترسم رحلة النفس في بحثها عن عالم آخر يكون بديلا عن الواقع وصولا إلى اليقين، و من أشهر هذه الرحلات المتخيلة: رحلة ابن يقظان

1-الداية محمد رضوان- رحلة تحفة الألباب و نخبة الإعجاب- دار الثقافة بيروت- س 1976- ص 27

وذكـــر الـــدكتور شـــوقي حنيـــف أن الإنســـان ولـــد راحـــلا، فـــإن أعجزتـــه الرحلـــة، تخيـــل رحـــلات غيـــر محسوســـة فـــي عـــالم الخيـــال. ونجـــد ذلـــك مبثوثـــا فـــي الأســـاطير الأولـــى كمـــا نجـــده مـــاثلا فـــي الحـــروب و الفتـــوح القديمـــة، ومـــا ســـطره الملـــوك الأول في مصر(2).

1- مصطفى عبد الغني-جسر الحمرات من أداب الرحلات- الدار المصرية اللبنانية-بيروت-ط1 س2004 ص19.

الفصل الأول

1-طبيعة الرحلة في الجزائر:

لقد اهتم الباحثون الجزائريون كثيرا بفن الرحلات و ألو فيها كثيرا من المصنفات التي لا يمكن الاستغناء عنها لكل باحث في هذا المجال،وفي هذا الإطار ارتأينا أن ننوه بالجهود التي قدمها (ابوقاسم سعد الله) في كتاباته"تاريخ الجزائر الثقافي".

وإذا كان الباحث(ابو قاسم سعد الله) قد اهتم بالرحلات الجزائرية القديمة و التي تخص الفترة العثمانية على وجه التحديد (عمر بن قينة) قد صب جل اهتمامه على الرحلات الحديثة و هو ما لمسناه في مؤلفاته اتجاهات الرحالين الجزائريين في الرحلة العربية الحديثة.

و مما تجدر الإشارة إليه أننا لم نعثر على باحثات مهتمات بهذا المجال في القطر الجزائري باستثناء الباحثة (سميرة أنساعد) في كتابها " الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري دراسة في النشأة و التطور و البنية"

ومن هذا المنطلق كان لزاما علينا أن نذكْر بأهم الإنجازات التي أسهم بها الجزائريون في هذا الفن قديما، وحيث يقول الباحث (عبد الله الركيبي) لقد أسهم الرحالون الجزائريون في عهد الأتراك بمجهودات كثيرة و لاسيما تلك الرحلات الدينية التي كان يقصد منها لقاء شيوخ الطرق الصوفية و الإجماع بهم أوالسفر لأداء فريضة الحج، وبعض هذه الرحلات طبع حديثا و البعض الآخر لازال مخطوطا حتى اليوم(1)

و معنى ذلك أن أغلب الرحلات التي دوَنت في تلك الفترة كان يغلب علي أصحابها الطابع التعبدي، و من تم كانت رحلاتهم حجازية.

1-عبد الله الركيبي – تطوير النثر الجزاري الحديث -ص 48

ويرى الباحث (عمر بن قينة) أن مساهمة الجزائريون في كتابة الرحلات كانت واضحة خلال القرن الثامن عشر للميلاد، الذي شهد نشاطا معتبرا في المناخ الجديد الذي برزت فيه المطبعة فنشطت حركة الطبع و النشر و هو نشاط عكسته نماذج معتبرة بمادتها و رجالها و قضاياها (1)

أما إذا تحدثنا عن الرَحلات الحجازية وجدناها تتفرغ إلى شعرية و نثرية، و هي كثيرة جدا إذ لا يمكن أن نحصرها و يكفي هاهنا أن نعرض بعض النماذج التي توضح للمتلقي غايتنا.

2/مضمون الرحلات:

2-أ- الرحلات الشعرية:

يقصد بها تلك الرلات التي نظمها أصحابها شعرا، و يمكن أن نمثل لهذا النوع بقصيدة مطولة كتبها أبوعثمان بن سعيد عبد الله المنداسي التلمساني السلجماني سنة 1008 هـ بالمغرب الأقصى بعد عودته من الحجاز و هي القصيدة المعروفة باسم "العقيقة" وهي تتضمن مدحا للرسول ووصفا للبقاع المقدسة و آثار الحجاز و منازله و ذكرياته الغابرة، ولعل هذا ما جعلها تصنف في خانة الرَحلات الحجازية، ونظرا لأهمية هذه القصيدة فقد لاقت اهتماما كبيرا من طرف الباحثين و المؤلفين الأمر الذي جعلهم يقدمون لها شروحا و تعاليق كثرة أضافت إليها معلومات كثيرة، و من ذلك شروح ناصر أبوراس المعسكري الذي يذكر في رحلته بأنها الدرة الأنيقة في شروح العقيقة (2).

ويصف الباحث أبو القاسم سعد الله أسلوب هذه القيدة التي تمتاز بتصنيفها لأساليب بلاغية و فنية تظهر براعة صاحبها و تفوقه بقوله و " العقيقة قصيدة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم و صحابته، كتبها المنداسي بالعامية الفصحى

1- عمر قينة – في الأدب الجزائري تأريخا و أنواع و قضايا و أعلاما – ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر – س 1995 – ص 97

2-محمد ناصر أبو راس – فتح الإله وسنته في التحدث بفضل ربي و نعمته – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر س 1990 ص 181

وهي ليست قصيدة بسيطة، لا في لغتها و لا في معانيها، لأنها احتوت على تراكيب غريبة، وعلى تواريخ و حودث تحتاج إلى توضيح، وإطلاع واسع، وقد سلك الشاعر مسالك بلاغية معقدة، و مسالك لغوية أكثر أكثر تعقيدا (1).

ويبدو أن مقصد الهنداسي من كتاباته لهذه القصيدة بالعامية و هو تقريب معانيها من العامة.

و من أمثلة الرحلات الشعرية خلال القرن الثاني عشر رحلة محمد بن المسايب التي سجلَ فيها تنقلاته من مدينة تلمسان إلى مكة المكرمة ووصف فيها عواطفه نحو الرسول صلى الله عليه وسلم،كما وصف الأماكن التي مر بها في قصيدة و سماها بـ :يالوشان اقصد طيبة و التي مصطلحها :

يا الوَرْشَانْ آقْصَدْ طِيبَة وَسَلَّمْ عَلَى السَاكِنْ فِيهَا

لاَتْخَمَمْ فِـي أَمْر الغِيبَة وَلاَ تْحَدَثْ نَفْسَكْ بِـهَا (2)

ومما تجد الإشارة إليه أن هناك شاعرين لآخرين من تلمسان اشتهروا بنظم الحلات الشعرية بالملحون و نقصد بذلك ابن التريكي و الزناقي و هما معاصران لابن المسايب.

ومن بين الرحلات الشعرية أيضا رحلة عبد الرحمن بن محمد الخروب المعروف بـ " المجاجي" وهي مجموعة بالمكتبة الوطنية بالجزائر العاصمة وقد قامت بدراستها الباحثة زعيترحميدة (3).

وتتضمن هذه الرحلة أخبار كثيرة عن الأضرحة و الأولياء الذين زارهم المجاجي و العلماء الذين لقيهم أثناء سفره انطلاقا من مكة مرورا بليبيا و تونس و الصحراء الجزائر ووصولا إلى مجاجة، حيث قال:

1-أبو القاسم سعد الله –أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر-ج1 – دار الغرب الإسلامي – لبنان – ط3 س 1990 – ص 180

2-محمد المسايب التلمساني- الديوان- درا النشر و التوزيع- الجزائر- س 2007 ص 100

3-حميدة زعيتر- رحلة المجاجي عبد الرحمن بن الخروب- دراسة و تحقيق،مذكرة ماجيستر- جامعة الجزائر- 2008-2009

و زُرْنَا بِهَا مَنْ كَانَ ثُمَ ضَرِيحَهُ مِنَ العُلَمَاءِ الفَاضِلِينَ الآجِلَةِ

وعَـامِرِ الفَوَالُ أيضا لَقَيْتُهُ تَبَرَكْتُ بِهِ وَاغْتَنَمْتُ بِدَعْوَةِ (1)

وصفوة القول تتجلى في أن الرحلات الشعرية المكتوبة بالجائر كانت قليلة إذا ما قيست بالرحلات الحجازية النثرية.

2-ب- الرحلات النثرية:

تعتبر الرحلات النترية من أكثر الرحلات وفرة بالجزائر، لأن "النثر هو الموطن الطبيعي للرحلة (2)، فهو أقرب إلى الواقعية و أنسب لعرض الحقائق وهو الأمر الذي ينسجم مع طبيعة الرحلة، التي في حقيقتها إعادة سرد للواقع ونقل له بكل تفاصيله، ولهذا يؤكد الباحث أبو القاسم سعد الله على" أن تكون الرحلات نثرية، يتحدث فيها أصحابها عن مشاهداتهم و ملاحظاتهم بلغة واقعية أو قريبة من الواقع (3).

ولما كنت الرحلة كذلك فقد نالت اهتمام كثير من الباحثين الجزائريين الذين ألفو فيها العديد من المصنفات التي أفاد منها الباحثون و المؤرخون فقدمت رحلاتهم صورة صادقة عن بلادهم و عن البلدان التي حلوا بها، و من بين هذه الرحلات رحلة المقري " الموسومة بـ :"رحلة في المشرق و المغرب .(4).

و من الرحلات التي برزت أتناء القرن الثاني عشر للهجرة رحلة أحمد بن عمار المشهور بـ: "نحلة اللَبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب".وهي في ثلاثة أقسام كما صرح بذلك في قولة:"ورتبتها على مقدمة خاتمة،وعرض مقصود وخاتمة، فأما المقدمة ففي ذكر ما أنتجه العزم و تقدم على الارتجال و أما الغرض المقصود ففي ما يحدثه السفر إلى الإياب، وحط

1-عبد الرحمن المجاجي- الرحلة- مخطوط- المكتبة الوطنية للجزائرية،ص04

2- حسن نصار،أدب الرحلة- دار ارنوبا للطباعة- القاهرة- ط1- س 1990-ص 103

3-ابو القاسم سعد الله- أبحاث و أراء في تاريخ الجزائر- ص 178

4-المرجع نفسه-ص182

الرحــال و أمــا الخاتمــة ففــي مــا نشــاء عــن ذلــك بعــد السـكون وانظــم إليــه (1)، ونستشــف مــن خــلال هــذا الكــلام أن القســم الثــاني هــو الأســاس الــذي تقــوم عليــه الرحلة كلها لأنه يتضمن حديثا عن السفر و الإياب وحط الرحال.

وتجــدر الإشــارة إلــى أنَ مــا وجــد مــن الرَحلــة هــو الجــزء الأول فقــط أي المقدمــة وهــي مطبوعــة فــي مــائتين و أربعــين صــفحة تحــت عنــوان: نبــده مــن الكتــاب المســمى نحلــة اللبيــب بأخبــار الرحلــة إلــى الحبيــب " وقــد أشــار إليــه فــي قولــه لمــا دعتنــي الأشــواق إلــى مشــاهدة الآثــار، و الأخــذ مــن الراحــة و الثأر و أنا أهجر الأهل و لوطن، و أضرب عرائض البيد بعطن" (2)

و المتأمــل فــي القــول يجــد أن ابــن عمــار و إن كــان قــد أفــاض فــي وصــف مشاعره الذاتية إلا أنه أجاد التعبير عنها بأسلوب يروق له السمع.

1-احمــدابن عمــار-نبــدة مــن الكتــاب المســمى نحلــة اللبيــب بأخبــار الرحلــة إلــى الحبيــب- مطبعــة بييرفونتانة- الجزائر س 1902- ص03

2- المصدر نفسه- ص 04

3-أنواع الرحلات:

يمكن تقسيم الرحلات إلى قسمين: رحلات واقعية و رحلات خيالية (1).

3-أ- رحلات واقعية:

في رحلات فعلية قام بها الرَحالة لغرض من الأغراض و هي ذات قيمة عظيمة لما سجله من حقائق في الجوانب التاريخية و الاجتماعية و الإقتادية و الثقافية و الجغرافية، و من أشهر الرحلات الفعلية الرحلة إلى الحج كانت إحدى أهم الرَحلات التي تقوم بوازع ديني،فالحج كما نعرف فريضة واجبة.كان يستغرق من الشهور إلى السنين إلى السنوات قديما لبعد المسافات كانت تجمع بين الوازع الديني و الروحي و المعرفي و كانت هذه الرحلات القديمة في عالمنا في المشرق تشير إلى نجاح هذه الرحلة، و الشائع في بلاد المغرب للرحلة هو ذلك الذي تكون فيه دوافع روحية و يستهدف في زيارة الأماكن المقدسة لأداء فريضة الحج، و من أشهر هذا النوع من الرحلات رحلة ابن بطوطة و ابن فضلان،و رحلة ابن جبير(2).

سجلت عبر هذه الرحلة وقائع حقيقية متنوعة في كل الجوانب، و أكثر ما يسلط على هذا النوع هو فريضة الحج التي قامت على وازع ديني وقد توجت هذه الرحلة بنجاح مثال: رحلة ابن بطوطة.

3-ب- رحلات خيالية:

وقد تبرز في تلك الرحلات الباطنية التي يقوم بها المتصوفة، وتتطلب تجربة معيشية على المستوى الواقعي و أخرى ذهنية للعالم متخيل ينجح إلى وضع أفكار و تأملات معينة تتماشى مع المقولات و التطورات الصوفية و الفلسفية و الدينية الي ترسم رحلة النفس في بحثها عن عالم

1-الداية محمد رضوان- رحلة تحفة الألباب و نخبة الإعجاب- دار الثقافة- بيروت س 1967- ص 27.

2-مصطفى عبد الغني- جسر الحمرات من أدب الرحلات- الدار المصرية اللبنانية ط1- س 2004- ص 19

أخر يكون بديلا عن الواقع وصولا إلى اليقين، و من أشهر هذه الرحلات المتخيلة: رحلة حي بن يقضان.

وذكر الدكتور شوقي حنيف أن الإنسان و لد راحلاً، فإن أعجزته الرحلة، تخيل رحلات غير محسوسة في عالم الخيال،ونجد ذلك مبثوثًا في الأساطير الأول في مصر و غيرها.(1)

وذكر الدكتور حسني محمود حسين أن الإنسان توسع برحلات على مدى الدهور و لم يقصرها على سطح الكرة الأرضية، فراح يتشوف رحلاته أعجزته قدرته عن تحقيقها بالفعل، فلجأ إلى خياله و فكره يجوس بهما خلال عوالم و دنى أخرى .(2)

وعرف محمد الفاسي الرحلات الخيالية بأنها رحلات وضعها مؤلفوها على لسان رحالة و همي سافر إلى إحدى حواضر العلم و الثقافة، و أشهر هذه الرحلات الخيالية " حضارة الإسلام في دار السلام" لجميل مدور. (3)

و الحق أن الرحلة الخيالية أوسع من كل ذلك، فلا تقتصر على الماضي لا البعيد و لا القريب، و لا تقتصر أيضا على الحياة الدنيا بل تتعداها إلى الآخرة مثال: رحلة جلجامش الإيطالي دنتي.

1-كراتشوفسكي- تاريخ الأدب الجغرافي- دار الغرب الإسلامي- لبنان ط2- س 1987- ص 148

2- جورج غريب- أدب الرحلة- دار الثقافة- لبنان- ط3- س 1979- ص 4

3- شوقي حنيف- الرحلات – دار المعارف- مصر- د ن- س 1956- ص 7

4- البنية السردية للرحلة:

تقوم الرحلة بنيتها السردية على عناصر مختلفة تتمثل في الحدث اللغة- االراوي- الزمان- المكان.(1)

4-أ- الحدث:

هو العمود الفقري لمجمل العناصر القيمة، يشكل الحدث في الحكاية كما الفعل في الجملة المركز الذي تنظم حول شبكة من العلاقات أو توزيع الأدوار من جانب يتمتع الفعل في الجملة بخصائص هذه المجموعات في الحكاية و هو في الرحلة مستمدة من الحياة دون أن يحذف شيئا أو أن يزيد عليه.(2)

4-ب- اللغة:

هي الوسيلة الوحيدة من وسائل التعبير المتاحة للرَاوي، إذ يلجأ هذا الراوي لنقل حكايته إلى الآخرين و كلما كانت اللغة لدى الكاتب وسيلة كان أسلوبه بسيطا يجعله ذلك في متناول شرائح واسعة من المثقفين و يمكنهم من التجاوب معهم، ويسهل عليه تمرير رسالته أو خطابه.(3)

4-ج- الرَاوي:

وهو المرسل الذي يقوم بنقل الرواية إلى المروي له أي القارئ و الراوي الذي نجده في الرحلة هو الشاهد الذي يمكن مقابلته بالكاتب في الدراسات التقليدية حيث يكون صوت المؤلف وراء ستار اللغة و هنا يهيمن الرَاوي على مختلف جوانبه الشخصية إلا أن صاحبا أدبية الرحلة في رسالة الغفران يفرقان بين الرَاوي و الكاتب و الرَاوي كائن شاهد على وقوع القصة فيرويها في الواقع، هذه التصورات في اعتبار الرَاوي هوية أدبية لا يعيش إلا مع النص و به أما الكاتب فهو اجتماعية تمارس وجودها

1- محمد غنيمي هلال- الأدب المقارن- دار العودة- لبنان- ط 5 - د
2- العربي اسماعيل- أدب الرحلة و التواصل الحضاري- كلية الأداب- مكناس- المغرب- س 1983- ص 28.
3- مصطفى غنيمي- من فنون النثر الأدبي- مجلة لافكر العربي(الجزائر)، ع31- س 1983- ص 30.

خـــارج ذلـــك الـــنص رغـــم أنـــه منتجـــه، ويقـــوم الـــرَاوي بوصـــف الأحـــداث الرئيســـية و يحكـــم بكـــل الأشـــياء دوا العناصـــر التـــي تحكـــم حيـــاة الشخصـــيات ســـواء كانـــت ماديـــة أو معنويـــة دون الحاجـــة إلـــى الظهـــور علـــى مســـرح الأحـــداث و للـــراوي وظـــائف مختلفـــة إفهاميـــة و تخـــص حـــوار الـــرَاوي و القـــارئ ووظيفـــة تأثيريـــة تتصـــل بـــالنواحي و الوجدانيـــة و الفكريـــة ووظيفـــة استشـــهادية تبَـــين مصـــادر أخبـــار الـــرَاوي و مـــدى دقتهـــا ووظيفـــة إيديولوجيتـــه يرمـــي إلـــى الـــرَاوي إلـــى تحقيقهـــا إقناعـــا أو تفقـــدا، و يمكـــن تلخيصـــها فـــي ثـــلاث وظـــائف أدبيـــة جوهريـــة ســـردية (قصـــة الأطفـــال) و الثانيـــة وظيفـــة وصـــفية قصة (قصة الأحوال) و الثالثة وظيفة تنظيمية.(1)

4-د- الزمان:

يبنـــي التصـــوير الـــرَاوي علـــى مكـــونين، مكـــون ســـردي عمـــاده الزمـــان و مكـــون وصـــفي عمـــاده المكـــان و الحـــق يشـــترك المكـــان الزمـــان فـــي أنهمـــا إطـــاران للأحـــداث غيـــر أن الـــزمن يمتـــاز بأنـــه متلـــبس بالحـــدث فـــي أنهمـــا إطـــاران للأحـــداث غيـــر أن الـــزمن يمتـــاز بأنـــه متلـــبس بالحـــدث ذهنيـــا أو نفســـيا أو ماديـــا أو جغرافيـــا أو واقعيـــا، فـــالزمن هـــو الحـــدث و هـــو مـــداه و هـــو نفســـه و يـــرى: أن قضـــية الـــزمن فـــي الســـرد إنمـــا تطـــرح بســـبب التفـــاوت الحاصـــل بـــين الحكاية.(2)

و زمـــن الخطـــاب و عـــين ثلاثـــة أصـــناف مـــن الأزمنـــة هـــي: زمـــن الحكايـــة و زمن القراءة، و أزمنة داخلية.

4-هـ- المكان:

يحتـــل المكـــان أهميـــة كبيـــرة علـــى غـــراء الزمـــان و يســـتحيل تنـــاول دراســـة تنصـــب علـــى عمـــل ســـردي دون أن ينشـــأ عـــن ذلـــك المفهـــوم المكـــان فـــي أي مظهر من مظاهره، ونظرا لارتباط المكان بتقنية الوصف الزمانية يمكن

1-بـــو رايـــو عبـــد الحفـــيظ- مدينـــة قســـنطينة فـــي أدب الـــرحلات- رســـالة ماجيســـتير- شـــعبة أدب الـــرحلات- جامعة منتوري- قسنطينة-2007-2008- ص17.

2-محمد هلال- الأدب الغربي- مجلة الهلال المصرية (القاهرة- ع07 ـــس 1968م-ص 20.

أن يجــئ المكــان عنصــرا تابعــا للزمــان الروائــي علــى ذلــك لا يقلــل مــن أهميته في شيء.(1)

ولابــد مــن تكامــل هــذه العناصــر الســردية التــي بهــا ينســجم المعنــى ، ونتوصــل إلـــى مـــا يحتويـــه أدب الـــرحلات لمعرفـــة موضـــوع الرحلـــة،فلا نســـتطيع أن نكتـــب أو نـــتكلم إلا بحكـــم الزمـــان و المكـــان و غيـــره مـــن العناصـــر التـــي نستوقف عندها.

1-محمد هلال- مجلة الهلال المصرية-ص23

5-خصوصيات أدب الرحلة:

يمتاز أدب الرحلة عن غيره من فنون الأدب الأخرى بمجوعة من الخصائص و هي سمات تكاد تحضر في جل النصوص الرَجلية إلا أن الفرق يتجلى في تفاوت الرحالين في الاستعانة بهذا العنصر أو ذلك و من هذه السمات:

5-أ- الشمولية و التنوع:

هما ملمحان بارزان في معظم ما كتب في الميدان. يقول الباحث سيد حامد النسَاج " تتسع موضوعات الرَحلة فتشمل كتبهم التاريخ و الجغرافيا و الدين و الاجتماع و السياسة" (1) و معنى ذلك أن أدب الرحلة يشمل الحياة بكل ما فيها من تفاصيل و يلم بمختلف الجوانب الخاصة بالإنسان، فتجد الحديث عن البيئة و المأكل و الملبس و العادات و التقاليد و النظم الاجتماعية و السياسية و إدراج الحقائق القدرة على تناول مختلف المواضيع وهو ما أشار إليه الباحث ناصر عبد الرزاق الموافي في قوله" أدب الرحلة وعاء لكل مضمون، و هو لا يفرق بين مضمون خسيس و آخر شريف أو بين مضمون مهم و آخر تافه فكل مضمون قابل للتدوين طالما قبله ذوق الرحال و اقتنع به.(2)

5-ب- الحس الإسلامي:

وهي سمة تكاد تطغى في معظم الرحلات و تتبدى في توظيف الرحالة لأساليب القرآن الكريم أو الحديث الشريف سواء عن طريق الاقتباس أو التضمين حتى أصبحت هذه الأساليب جزءا لا يتجزأ من لغة الرحالة و من تقاليده الخاصة.

1-بو سيد حامد النساج- مشوار كتب الرحلة قديما و حديثا- دار غريب للطباعة و النشر القاهرة- د ت- ص.09

2- الموضي عبد الرزاق- الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري- دار النشر للجامعات، مصر- ط2- س 1999- ص 48.

الحس النقدي:

إن الرحالة وهو يتنقل من موضع لأخر يدون كل ما تلتقطه عدسته من مشاهد و هو لا يكتفي بالمشاهدة و الوصف بل إنه تعداهما إلى التفسير و النقد و لهذا يروي الباحث ناصر عبد الموافي أنَ" أهم ما يجب أن يتجلى به الرحال هو امتلاك روح الناقد البصير المحايد، و إذا لم تكن هذه الروح كاملة فيه قبل تحركه، فإن الرحلة كفيلة ببثها في نفسه"(1)

5-د- النزعة إلى الواقعية:

استطاع الرحالة أن يختاروا من الأحداث ما يظهر رؤيتهم و انطباعهم في هذه الرحلات و اتضح ذلك فيما حملته رحلاتهم من مضامين ناقدة باصرة لما حولها و ذات مزيج ثقافي فكانت رحلاتهم صورة لممارستهم هذه الرحلات و من مظاهر هذه الواقعية ذكر التفاصيل الدقيقة عن الأماكن التي مروا بها بشكل صحيح، و ما يؤكد واقية الرحلة كونها محددة بإطار زماني و مكاني.

5-هـ- النزعة القصصية:

على الرغم من أن أدب الرحلات يقترب من الواقع إلا أن ذلك لم يمنع الرحالة من محاولة نقل هذا النوع و تصويره للمتلقي وكأنه قصته صادقة، عنه لم يكن للخيال فيها مجال إلا واقع في بعض المواقف التي تستدعي ذلك كإيجاد الشخصيات وخلق الحوادث.

5-و- الطابع الوثائقي:

الرحلة وثيقة يمكن الركون إليها فهي محددة الزمان و المكان، واقعية ذات أهداف و نتائج معاينة و معانات و أذواق منقحة(2).

1-الموافي عبد الرزاق-الرحلة في الأدب العربي-ص49

2-المرجع نفسه- ص55

5-ز- الطابع الإنساني:

الرحالة إنسان يصف الإنسان بكل جوانبه الخلقية و الخُلقية و صفاته العقلية و النفسية و عاداته و معتقداته و ما إلى ذلك.

5-ح- الطابع الجمالي:

إن إحساس الرَحالة بالجمال هو الذي دفعه إلى وصف المشاهد و لكن الجمال الذي يخرج من أجله موضوعه المتعة و لا علاقة له بالمتعة الحسية.

5-ط- الوصف:

لا تخلو رحلة من الرحلات من عنصر الوصف باعتباره عنصرا أساسا فالرحالة و هو يتنقل من مكان لآخر يلاحظ و يصف كل ما تقع عليه عينيه من مشاهد فيصف البيئة و المطبخ و العادات و التقاليد و لعمران و ما إلى ذلك.

5-ي- توفر أدب الرحلات على تيمة السفر.

5-س- تنوع الأسلوب من السرد القصصي للمغامرات و العواطف المحركة للبشر إلى الحوار و الوصف الطريف و غيره.(1)

وبعد فهذه هي أهم الخصائص التي استطعنا أن نستخلصها، هذا فضلا عن بعض السمات المبثوثة في ثنايا الدراسة.

و تشترك الرحلات جميعها على مجموعة من الخصائص و تتفق في مضامينها و تتمتع بسردها المميز النابع من بنية أو يتمة السفر هذه السمة التي تجعل من أدب الرحلات جنسا أدبيا مميزا يستحق أن يجد لنفسه مكانة في خانة الأجناس الأدبية، كما أن الاتفاق الحاصل بين الباحثين و النقاد الذين سبق ذكرهم من قبل و من شأنه أن يؤكد الطابع الأجناسي للرحلة باعتبارها خطابا دو خصوصيات مستقلة و لغة و بناء فني مميزين.

1- المرجع السابق ص 50.

6- قيمة و أهمية أدب الرحلة:

إن الرحلات تعرض جميع نواحي الحياة أو تكاد تتوفر فيها مادة وفيرة مما فيهم الجغرافي و المؤرخ و علم الاجتماع و مؤرخ الأدب، فالرحلات منابع ثرية لمختلف العلوم و هي بمجملها سجل حقيقي لمختلف مظاهر الحياة.

فالرحالة أثناء رحالته يعطي مظاهر مختلفة في الحياة يشاهدها أو يسمعها و ينقلها في رحالته، و لا شك أن الرحالين يختلفون فيما بينهم في درجة ملاحظتهم و درجة تفكيرهم، و مهما يكن من اختلاف و تباين بين الرحلات، فالرحلات قيمتان قيمة علمية و أخرى أدبية (1).

6-أ- القيمة العلمية:

و تكون في معظم ما تهويه هذه الرحلات من معارف جغرافية و تاريخية و اجتماعية و اقتصادية...الخ مما يدونه الرحالة لتدوين المعاني في غالب الأحيان جراء اتصاله المباشر بالطبيعة و الناس خلال رحلته.إن الرحالة يمثل دور الناقل لهذه الظاهرات من أيدي الجغرافيين أو المؤرخين أو علماء الاجتماع كل حسب تخصصه، فهو عندما يصف الممالك و الأقاليم، يتحدث عن المناخ و الطبيعة و عن ظاهرة توزيع السكان مما يعتبر من صميم الدراسات الجغرافية، فيعتبر من هذه الناحية مرجعا أساسا و معينا للعالم الجغرافي و مثل ذلك يمكن أن يقال في الرحلة بالنسبة لباقي العلوم.

و من العلوم مرت بمراحل مختلفة قبل أن تصل إلى ما هي عليه اليوم من تحديد ظاهرة ما. (2) ولهذا عدا الجانب العلمي ميزة أساسية في أهمية الرحلة للمؤرخين بعد تدوينهم المعاني المتصلة بالطبيعة و الناس.

1-كراتشوسكي- تاريخ الأدب الجغرافي- ص 28.

2-حسني محمود حسن- أدب الرحلة عند العرب- ص 7- ص8

6-ب- القيمة الأدبية:

و تتجلى في الرحلات من خلال ما تعرضه في موادها من أساليب ترتفع بها إلى عالم الأدب و ترقى بها إلى مستوى الخيال الفني، و بالرغم ما يتسم به أدب الرحلات من تنوع في الأسلوب كالسرد القصصي و الحوار و الوصف فإن أبرز ما يميزه أسلوب الكتابة القصصي المعتمد على السرد المشوق بما يقدمه من متعة ذهنية كبرى، مما حدا بالدكتور شوقي ضيف إلى اعتبار أدب الرحلات عند العرب " حيز رد على التهمة التي طالما أنهم بها الأدب العربي تهمة قصوره عن فن القصة"، و قدا أفاد أدب الرحلات من على موضوعاته في صرف أصحابه في غالب الأحيان عن اللهو و العبث اللفظي و التكلف في تزويق العبارة إيثارا للتعبير السهل المؤدي للعرض و للضحية يعني تجربة صاحبه، و هذا ما يفتقده كثير من الأدباء و المحترفين في بعض عصورنا الأدبية، و لا يعني أن الأسلوبية الأخرى فقد يعتمد السجع أحيانا فلقد أثار هذا الأدب اهتماما بالغا بسبب تنوعه و غني مادته فهو تارة علمي و تارة شعبي و هو طورا واقعي أسطوري على السواء تمكن فيه المتعة كما تكمن فيه الفائدة لذا فهو يقدم لنا مادة دسمة متعددة الجوانب لا يوجد مثيل لها في أي شعب معاصر للعرب"2

هذا يعني أننا نستطيع التعامل من أدب الرحلات من عدة جوانب مختلفة كالجانب التاريخي، الجانب الاجتماعي و الأنثرولوجي...الخ و هكذا فقد تعد القيمة الأدبية من أهم مميزات أدب الرحلات لأنها ترقى بها إلى عالم الخيال الفني

1-حسني محمود حسن-أدب الرحلة عند العرب-ص08,

2-المرجع نفسه-ص09.

7-عوامل قيام الحضارات:

إن عوامل قيام الحضارة ما تتشابه مع عوامل قيام الحضارات الأخرى و انها تعتبر عوامل ثابتة، وقل ما يصيبها التعبير.قال تعالى:{ و تلك الأيام نداولها بين الناس} سورة آلعمران140

و سنوضحها بصورة عامة في الآتي:

7-أ- العامل الجيولوجي:

من المعلوم أن الكرة الأرضية مرت بعصور جيولوجية تدعى " الأزمنة الجيولوجية " أخرها الزمن الذي نعيش فيه، و يقدر العلماء أن العصر الأخير شهد أربعة عصور جليدية بين كل عصر و آخر نشأت حضارة، و لكن يعاود الأرض، و يحصر الحياة في نطاق ضيق من سطح الأرض، كما أن الزلازل و البراكين هي الأخرى أسهمت في طمس معالم الحضارة .(1)

وعليه يمكن القول أن العوامل الجيولوجية تؤثر على قيام الحضارة و تسهم في تطورها في الحالة التي تكون فيها الأرض مستقرة، و العكس صحيح عندما تشهد تغيرا و تحركا و ثورانا، حيث تصبح تهددا بالدمار و لخراب بين لحظة و أخر.

7-ب- العامل الجغرافي:

يشمل التقلبات المناخية و الطقس من حرارة، و برودة، ومن المعلوم أن المناطق الحارة، و الاستوائية لا توفر الظروف المناخية المناسبة لنشاط الإنسان، و بالتالي لقيام حضارة، فالحرارة في تلك المناطق الاستوائية، وكثرة الأمطار يساعدان على نمو الطفيليات في تلك البلاد، فيسودها الخمول و تؤدي إلى نضوج مبكر.لاسيما لدى الإنسان الذي لا يصرف جهوده في كماليات الحياة التي هي قوام الحضارة، و يستنفدها جميعا في إشباع الجوع، و عملية التناسل بحيث لا تذر للإنسان شيئا من الجهد ينفقه في ميادين الفنون و التفكير و مثل هؤلاء سكان المناطق القطبية. الاسكيمو.

1-ديورانت –قصة الحضارة- مطبعة لجنة الترجمة و النشر- القاهرة- ط3-س 1963- ص 05

و المطر عامل أساسي للحياة الاقتصادية و الاجتماعية و لقيام الحضارة، بل هو أهم من ضوء الشمس، و لذلك فإن الحضارات القديمة كلها قامت في المناطق التي تهطل بها الأمطار بكميات كافية،وحول الأنهار مثال حضارة واد الرافدين و حضارة الهند...الخ (2)

لقد قامت الحضارة العربية الإسلامية في مناطق الأمطار و الأنهار و امتدت حتى الصحاري رغم قلة التساقط، لكن فعالياتها البشرية استطاعت ترويض طبيعتها القاسية و الاستفادة منها.

7-ج- لعامل الاقتصادي:

ظهرت في الحضارة صورة الزراعة، إذ استقر الإنسان باكتشافه لها، فبنى مسكنه، و استأنس بالحيوانات لخدمته، واخترع الآلة و زادت قدرته على نقل التراث الإنساني لذلك ارتبطت الحضارة و الثقافة بتطور الزراعة، و اكتشاف الغداء كان بداية لمرحلة ثانية من حياة البشر هي الحضارة (1)

كما لعب التبادل التجاري دورا كبيرا في نمو و تطور الحضارة، و كانت تنقل مع هذا التبادل الخبرات الفنية، و المكتشفات الجديدة، و العادات و التقاليد، و عملت الصناعة على مضاعفة وسائل الراحة و الترف و الفراغ.

قد لعب الإنسان في هذا العامل درا بارزا في النمو و التطور السريع من مساكن بسيطة إلى مدن كان يتجمع فيها ما ينتجه الريف من ثروة و ممتلكات.

1- لنتون رالف- شجرة الحضارة- مطبعة الفنون الجميلة- موفم س 1990 ص 169.
2- المرجع نفسه-- ص 170.
3- ديورانت- قصة الحضارة- ص 06.

7-د- العامل الديني:

لابد للإنسان بعض الاتفاق في العقائد الرئيسية، و جانب من الإيمان بما هو كائن و راء الطبيعة إذ أن ذلك يرفع الأخلاق، و يدعم الإخلاص في العمل، فالعامل الديني يقوي اللحمة بين أفراد الأمة، و يدفع بهم إلى العمل و الاكتشاف، و تعدد الديانات و المعتقدات قد يكون سببا في ضعفها و في تمزيق وحدة الأمة و الشعب بفعل تعصب كل طائفة إلى دينها و عقيدتها.(3)

و كان الإسلام عقيدة و عاملا رئيسيا في تحقيق الالتحام بين المجتمعات مما جعل أفراده يتنافسون في تحقيق مثله العليا و في مقدمته سعادة الإنسان في الدارين.

7- هـ- العامل الأخلاقي:

إن المجتمع يحتاج إلى ضوابط أخلاقية، بحيث إذا وقع من أحد أفراده أو جماعة منه تجاوز يعاقب معنويا، و يطرد سلوكيا، و هو ما جسدته الشريعة في تنظيمها للمجتمع الإسلامي.

قد جسد المجتمع بمجموعة من الأخلاق، و كل مخالف للقوانين الشريعة الإسلامية و مبادئها يعاقب معنويا.(1)

7-و- العامل التربوي:

إن نظام التعليم هو الذي ينقل الثقافة، و لمعرفة، و تراث الأجداد إلى الأبناء و الأحفاد أي من جيل إلى جيل فيحدث بذلك تراكم تراثي يؤدي إلى الإسهام في قيام الحضارة، و قاعدة انطلاق لها، و القرآن الكريم أعطى لهذا العامل الأولية في بناء المجتمع و الحضارة عندما كانت أول آياته هي " اقرأ " (2)

1-ابن خلدون- المقدمة- ج2 –دار الفكر- بيروت- د ت – ص 172.

2-جلال مظهر- حضارة الإسلام و أثرها في الترقي العالمي- دار مصر للطباعة- القاهرة- د ت- ص 46

3-الرافعي مصطفى، حضارة العرب- الشركة العالمية للمكتبات- بيروت- ط4 س 1988-ص 21

اعتبر القرآن الكريم قاعدة في قيام الحضارة، و قد أسهمت بذلك الثقافة و المعرفة إلى تراكم تراثي يؤدي إلى ازدهار الحضارة و نشوئها.

7-ز- العامل الثقافي:

إن للغة الواحدة التي توفر إلى حد ما جوا سهلا يتبادل فيه الناس الأفكار و الآراء، وكذلك وجود قانون ديني يحدد الواجبات و الحقوق و ينظم سلوك الناس، و كانت اللغة العربية، والفقه الإسلامي العاملين الأساسين في توفير هذا الجو.(3)

لابد من الإنسان أن تتوفر فيه مجموعة من السلوكيات لكيي حسن التعامل مع الناس، و ثقافته أيضا تمثل العامل المهم في تبادل الأفكار و ذلك بحكم العامل الإسلامي.

7-س- العامل السياسي و النفسي:

إن الاستقرار السياسي، ووجود نظام قوي يفرض القانون على الجميع و يضع حدا للتعدي و الخوف، و يعمل على توفير الأمن بواسطة العدل و المساواة من شأنه أن يصرف الأفراد إلى العمل و الإنتاج و الاكتشاف و بالتالي تزداد الوسائل و الإمكانيات فتزدهر الحضارة ، ودون ذلك لا يستطيع المجتمع أن يأخذ بأسباب الحضارة و هو يعيش في حالة من القلق و الخوف.(1)

و نستنتج من هذه العوامل أنها دائما تكون مجتمعة لأنها هي التي كانت و راء ازدهار الحضارات. و لو انعدم و احد منها تقوضت أسسها فلو حدث انحلال عقلي أو خلقي أو تهدمت القواعد التقليدية التي يقوم عليها النظام الاجتماعي، ثم العجز عن إحلال غيرها مكانها بسبب القيادة السياسية، إضافة إلى التغيرات الجيولوجية بفعل الهزات و الزلازل و البراكين و التقلبات المناخية.

1-الرافعي مصطفى-حضارة العرب - ص 22

2-بشير رمضان التلسيسي- تاريخ الحضارة العربية الإسلامية- دار المدار الإسلامي- لبنان- ط2 –س 2004- ص 11

وأيضا ذكر حنيف الله محمد الأخضر في كتابه محاضرات في الحضارة العربية: أن من العوامل الحضارة المتمثلة في يلي:

7-ع- العوامل المادية:

و تنحصر تحت التجارة- الفلاحة و الصناعة و يندرج تحت كل عامل كثير من الروافد، مثل الشركات التجارية و المؤسسات الصناعية.

و هناك عدة عوامل تصب في الرافد فمثلا التعاونيات الفلاحية فهناك أشخاص يستخدمون هذا العامل بكل قوة و شجاعة.(1)

-الصناعة:

ساهمت الصناعة في العصر الحاضر بقسط وافر في ازدهار الحضارة و رقيها مما أدى إلى تطوير الصناعة و تعميمها، حتى أصبحت بالنسبة للإنسان كالهواء. فأصبحت الصناعة وسيلة للمواصلات و إزالة الفوارق الطبقية.

-التعاون:

يدخل التعاون تحت العوامل المادية إذا نظرنا إلى نتائجه قديما و حديثا .

كان التعاون في بادئ الأمر تعاونا مبدئيا، لا يعدو بناء المنازل، وفلاحة الأرض، و أن مصدر النجاح في التعاون هو الإخلاص في العمل و صفاء النفس.(2)

وقد تحقق التعاون للمجتمعات البشرية تطورا في حب مهنة العمل بين نفوس البشر، فبدلوا جهدا في إسعاد بعضهم البعض، و التي تحقق الهدوء و الاستقرار مما أصبح ذا مجالا واسعا.

1-ضيف الله محمد الأخضر- محاضرات في الحضارة العربية- ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر- س1982 – ص 09.

2-المرجع نفسه- ص 10

و هكـذا فـإن العوامـل المعنويـة كثيـرة.و نـادي بهـا المفكـرون و ساسـة الـدول و جعلـو منهـا شـعارات للأمـم، نقتصـر علـى الحـديث علـى أهمهـا الحـديث: الحرية و الأخلاق و ندع الباقي .(1)

الحرية:

و بهـا يقـع الانسـجام بـين أفـراد المجتمـع، إذ تمحـى الفـوارق الطبقيـة، و يستشـعر كـل إنسـان أنـه إزاء أخ لا يظلمـه و لا يعتـدي علـى حقوقـه، سـواء كـان غنيـا أو فقيـرا. فـالفرد لـه حقـوق و عليـه واجبـات و لـه الحـق كـل الحـق فـي إبـداء الـرأي و نشـر الأفكـار، ومـا دام الإنسـان يتماشـى وفـق القـوانين المرعية(2)

منحـت الحريـة الكثيـر مـن الحـق، و لكنهـا فـي ظـل القـوانين للإنصـاف و العـدل، و تغلغـت فـي قلـب كـل فـرد و جعلتـه يسـتغني جهـد الطاقـة عـن الاحتكام إلى القضاء لكي ينشر التضامن و التسامح بين أفراد المجتمعات.

1-الجاحظ- البيان و التبيين-ج و- لجنة التأليف- القاهرة- س 1949- ص 22.

2- ضيف الله محمد الأخضر- محاضرات في الحضارة العربية- ص 13

8-أهمية الحوار الحضاري:

تأتي أهمية هذا الحوار الحضاري من أنه قد أثبت و جوده عبر التاريخ بعيدا من الإسقاط و قريبا من الحاجة، و من أنه عاد إلى الواجهة من جديد في الخمس عشرة سنة الأخيرة مع ظهور العولمة و تبشيرها بمقولات الصراع الحضاري و هذا ما استتبع عكس المقولة: فبدل الصراع كان الحوار، وبدل إلغاء الحضارات و نهايات التاريخ كان العمل على إثبات وجود هذه الحضارات، و استكمال مهمة التاريخ الذي لا يمكن أن يلغي أو تكون له هذه النهايات المأسوية فيهما يجري على الأرض من حروب و دمار و استتار بالتكنولوجيا و إفرازاتها لا سيما المعلوماتية و فروع العلم و المعرفة و الثقافة و الإعلام و الاتصال و المال و السلاح (1)

ومن أجل ذلك توجد جملة من النقاط منها:

8-أ- العمل على إبراز الشخصية و القومية وإغنائها:

حيث يكشف عن الصفحات المهمة في تاريخ الأمة الأدبي،على أنها صفحات يمكن إن تعتمد بما فيها من مشرف و خلاف و مفيد للإنسانية، فهو بذلك ينشطه و يمده بدماء جديدة و يوسع من دائرة اهتمامه، خصوصا في القضايا التي يعطيها الصدارة في البحث الأدبي و الموضوعات التي يتناولها الأدب القومي، و من شأن هذا الحوار الأدبي الحضاري أن يعرف الأدباء القوميين إلى الأصل في أدبهم و أكثر أهمية فيه، فتصبح القدرة على الانفتاح على الآخر متاحة، و يصبح الحوار عند ذلك متكافئا يجري من غير تعقيد، بعيدا من التوقع و الانزواء، قريبا من فهم أدبنا و متطلبات شعوبنا و ارتباطها بالأرض (1)

1- سالم المعوش- الأدب و حوار الحضارات- ص 63.

8- الإسهام في تقويم الأدب القومي:

سنقل الحوار الأدبي الحضاري أدب أمة إلى سواها، فيكون سفيرا لها لدى الآخرين ....ومن خلال النظرة إليه ستتضح مكانته الأدبية. و سيجري تقويمه و تقديم صورته الحقيقية، بعد أن يمر بغرابيل النقد و يجدد و يظهر في صورة راقية تتجلى في الكثير من نواحي المشترك بين الآداب و مدى قبول أمة أخرى له عندما تكشف عناصر الجمال و القائدة فيه 1.

8-ج- مرافقة الحوار الحضاري بحوار نقدي حضاري:

حيث تتجلى أهمية أو أوجه القصور فيه، فيمكن عندئذ تلافيها....إن ما حصل" لألف ليلة و ليلة" يعد دليلا قاطعا على أهمية هذا النقد و التقويم الناتجين عن الحوار الأدبي و الحضاري.... ذلك أنها بعد ترجمتها، للغات كثيرة في العالم و تقليدها، تبيت أهميتها الزائدة من العرب أنفسهم فاحتفوا بما أيها احتفاء. و هو ما يؤكده احمد حسن الزيات بقوله" كانت عودة ألف ليلة و ليلة إلى الوعي العام و الاهتمام بها في العالم العربي صدى لاكتشاف الغرب و احتفاله بها (2)

8-د- إتاحة المشاركة في الحركات و التيارات الأدبية:

و من شأن هذا الحوار سواء أكان شكل مباشر أم غير مباشر. أن يكشف عن القصور و يدفع بمنتجي الأدب إلى دائرة الاهتمام، كما كان أسلافهم رواد عطاء أدبي ثر، شكل أسا رئيسيا من أسس الانطلاق الأدبي العالمي و هذا الحوار يكن أن يمد الأدب القومي بهذه المستجدات و يفتح إمكانية الإبداع هكذا حصل إبان النهضة، و يجري الحوار داخل قاعات المؤتمرات بإمكانه أن يبلور الفكرة و يقدم الأفضل و يعرف المسهم الحواري بجدوى ما لديه أو عدم جدواه..أن ما يجري من المؤتمرات

1-عيسى عطاشي- صورة الجزائر في أدب الرحلات الفرنسية مذكرة ماجيستر جامعة الجزائر- 2005-2004

2-أحمد حسن الزيات- في أصول الأدب- دار النشر و التوزيع- القاهرة- ط 3- س 1956 ص 82

المكتفة على ارض العرب في الجامعات و المعاهد و الوزارات المعنية و المؤسسات الثقافية.... معم جدا..إلا أن الأهم فيه هو إخراجه إلى حيز النور. بالاهتمام به و نشره و استخلاص صفوة آرائه و نقلها إلى الحركات و المؤتمرات الأدبية العالمية كي يتسنى له معرفة طريقه إلى الإنسانية و يشارك في الحوار الحضاري المنشود (1)

8-هـ- علاقته الوثيقة بالعلوم الأدبية الأخرى:

و المقصود من هذه العلوم تاريخ الأدب و سواه من العلوم التي تدخل في جملة العوامل المساعدة في تطوير الأدب و أغنائه، كعلم الجمال و الفلسفة

فان الحوار الحضاري يعين الناقد الأدبي في كثير من تطبيقات نقده و يجعله يحكم على الأثر حكما دقيقا من حيث اقتباساته و من حيث التقائه مع آداب أخرى. فيمد الحوار معلومات جليلة تسهل خطوات عمله. إن موضوع " الهامة" مثلا لا يقتصر وجوده على الأدب العربي وحده بل يتعداه إلى الآداب الأخرى.(2)

وبهذا يكون الحوار الحضاري علما مهما و ضروريا إلى جانب العلوم الأدبية و الإنسانية الأخرى. و تتأنى قيمة هذا الحوار من أنه يتبنى منهجا نقديا لبناء تاريخ أدبي متكامل. تعلل فيه الظواهر الأدبية تعليلا دقيقا.

1-سالم المعوش- الأدب و حوار الحضارات – ص 66

2-روح ليسنغ- من كتابه، فريدريك شليغل، الجزء الأول- دار النشر و التوزيع ألمانيا- س 1804- ص 12

الفصل الثاني

رحلة ابن بطوطة و بناؤها الفني و موضوعاتها:

كانت دراستي لهذه الرحلة في البداية مجرد نزوة عابرة لم تؤثر في أي نبض، و لكن مع مرور الزمن قادني فضولي إلى وضع النقاط على الحروف و قراءتها مرات متتالية،حينئذ اكتشفت الكثير من الأشياء عكس القراءة العابرة.

و لما كنت رحلة ابن بطوطة مجهولة عند جمهور القراء كان لزاما علَي أن أستوقف عند وصف هذه الرحلة و من ثم إلى تقديم فهم أولي للمضمون ثم دراسته جزئيا ثم الاستفادة من الحدس في إجلاء الغموض عن هذا النص.

تحتوي رحلة ابن بطوطة على جزئين يضم الجزء الأول ثلاثمائة و خمسة و ثمانين صفحة بينما الجزء الثاني يضم ثلاثمائة و سبعين صفحة من الحجم المتوسط. و عدد سطور في كل صفحة حوالي أربع و عشرون سطرا،طبعت بالمؤسسة الوطنية للفنون المطبعية بالجزائر سنة تسع و ثمانين و تسع مائة و ألف ميلادية و المحققة، هذا عن الجانب الشكلي للرحلة.أما إذا تحدثنا عن مضمونها و وجدناه ثريا من طرف عبد الهادي التازي و متنوعا إذا لم يقتصر حديثه عن المغرب و ثقافته و عاداته و تقاليده و علماته بل إننا نجد في رحلته أخبارا هامة عن القارات الثلاث وعن حياته و تنقلاته في المغرب و البلدان الأخرى(كالهند و الصين) ومعاناته الشخصية هذا فضلا عن تضمينه في هذه الرحلة للأشعار و القصص و الأساطير و الأمثال (1).

1-حسن ناظم: البنى الأسلوبية- المركز الثقافي العربي- المغرب- ط 1 – س 2002- ص 37.

هــذه إذا بعــض التفاصــيل حــول هــذه الرحلــة و بعضــها الأخــر سنفصــل الحــديث عنــه فــي ثنايــا هــذه الرســالة. و بمــا أن الرحلــة لهــا ارتبــاط بحيــاة الرحالة.

قراءة في العتبة:

ينــدرج العنــوان فــي الــنص الرحلــي ضــمن عنــاوين الســرود القديمــة، وكــل دراســة للمــتن الرحلــي أو غيــره يجــب أن تطلــق مــن العنــوان لمــا لــه مــن أولويــة علــى كافــة العناصــر المكونــة الأخــرى، و اعتبــاره العتبــة الأولــى التــي يتحــاور المتلقــي و تشــير إلــى جــنس المؤلــف.(1) بــل انــه المفتــاح الــذي يمكــن للقــارئ مــن الــدخول إلــى عــالم الــنص و مــن ثــم فــتح مغاليقــه لأن الولــوج إلــى الــنص لا يمكــن ان يــتم دون المــرور علــى العتبــة، فأهميــة العنــوان بالنســبة إلــى الــنص كأهميــة العتبــة بالنســبة إلــى البيــت ولهــذا قيــل:" أخبــار الــدار علــى بــاب الــدار(2)". فــالعنوان هــو الــذي يظهــر الــنص ويعلــن نيــة قصــيدته، أي مــا يريــد أن يقولــه الــنص بــل إنــه يفــتح الأفــق أمــا القــارئ لتصــوير محتــواه العــام و مضــمونه، وبالتــالي فهــو يخبــر عــن الــنص ويفصــح عنــه باعتبــاره جــزءا مــن أجزائــه الأساســية وهــو بهــذا الاعتبــار بنيــة نصــية ولــيس لافتــة مجــردة مــن الدلالــة(3) وكمــا يســتجيب الــنص لعمليــات التفكيــك وإعــادة البنــاء وصــولا إلــى اســتكناه دلالاتــه، يضــع العنــوان نفســه فــي أهميــة الاســتعداد لمثــل هــذا الجهــد القرائــي ومــن هــذا المنطلــق ارتأينــا أن نســتوقف عنــد العنــوان الــذي وســم بــه ابن بطوطة رحلته وهو لسان المقال.

1-شعيب حليفي-الرحلة في الأدب العربي- التجنس-آليات الكتابة-المتخيل- ص 171.

2-عبــد الحــق بلعابــد- عتبــات جيــرار جنيــت مــن الــنص إلــى المنــاص – منشــورات الاخــتلاف الجزائــر ط1- س 2008- 13.

3-علــي حــداد- العــين و العتبــة مقاربــة لشــعرية العنــوان عنــد البردونــي- مجلــة الموفــق الأدبــي اتحــاد الكتاب العرب- دمشق ع 370، شباط- 2002- ص 07.

تحفة النظار في غرائز الأمصار وعجائب الأسفار، فما طبيعة العنوان ؟وهل استطاع ابن بطوطة أن يلملم من خلاله كل القضايا و التفاصيل التي تحدث عنها في متن الرحلة؟ هذه بعض التساؤلات التي تبتار إلى دهن المتلقي وهو يصطدم بمثل هذا النمط من العنونة التي تخضع لاختيار كاتبْ النص بل و للنص نفسه.

إن القارئ المتصفح لعنوان هذا النص ألرحلي يجد انه لا يحمل على جنسه فلو حددنا مثلا هذا النص انطلاقا من لفظة عجائب لأستشعر القارئ أن هذا النص يتضمن حديثا عن الواقع فهو يبدوا أقرب إلى النصوص التاريخية، فهو بها يحتويه و يعد مصدرا من مصادر التاريخ الدولي للعالم الإسلامي و علاقات أقطار هذا العالم بعضها ببعض و علاقاته بالعالم المسيحي، و قد أورد ابن بطوطة من الأخبار ما لا يوجد في الكتب التاريخية، و استطاع أن يستعرض أما قارئ رحلاته.الملوك الذين كانوا يهيمنون في عهده على معظم أطراف الدنيا و الذين تسنى له ان يقابلهم، و هو يفيض في الحديث عن علاقات المغرب الأولى بالعثمانيين، وهذا كتاب عظيم القيمة، جليل الفائدة اهتم له العلماء اهتماما شديدا و قد اكتشف مختصرا منه السائح بوركهارت(1). و نستطيع من خلال هذه القراءات الافتراضية أن نستشف اللبس الذي يجده المتلقي في تحديد نوع هذا النص، و من هنا يتبين لنا أن ابن بطوطة ترك عنوان نصه مفتوحا للقارئ يؤوله كيف ما شاء إن كان ينتمي إلى هذا الحقل أو ذاك. و الملاحظ أن المؤلف اعتمد في صياغة عنوانه على بعض الخصائص.

1 – الحسن ابن محمد الوريثلاني- نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر-س 1908- ص 718

قــوانين العنــاوين التقليديــة، و التــي تتجلــى فــي الطــول و المضــمونية و التَسْــجيع ذلــك أن حضــور المضــمون و الســجع فــي العنــوان يســتدعي ضــرورة عنصــر الطول،حيــث يكــون أكثــر وضــوحا و إغــراء، و اســتيعابا لاتســاع مضــمون الرحلــة، كمــا أن وجــود الســجع فــي العنــوان يثيــر لــدى القــارئ قلقــا ايســتيمولوجيا(1). و فضــولا يدفعانــه إلــى الغــور فــي أعمــاق الــنص، بحيــث يستشــعر المتلقــي ذلــك التنــاغم الصــوتي الــذي نشــأ عــن المزواجــة بــين الســجع(غرائــب الأمصــار.....عجائب الأســفار) الــذي أضــفى علــى العنــوان ســمة جماليــة. وممــا تجــدر الإشــارة إليــه أننــا عثرنــا علــى تقســيم للبنيــة لــدى الباحــث (ناصــر عبــد الــرزاق) الــذي يــرى أنــه يمكــن تقســيم البنيــة فــي أدب الــرحلات إلــى أنــواع و هــي البنيــة النمطيــة، البنيــة المحوريــة، البنيــة الانتقائيــة، البنيــة التضــمنية. و بفضــل الحــديث عــن كــل نــوع مــن هــذه الأنــواع. فالبنيــة النمطيــة هــي تلــك التــي تعتمــد نمطــا معتــادا قريبــا مــن صــورة الرحلــة الواقعيــة و هــي مكونــة فــي نظــره مــن أربــع وحــدات وهــي المقدمــة أو التمهيــد، رحلــة الــذهاب، وصــف هــدف الرحلــة، رحلــة العــودة، أمــا البنيــة المحوريــة فهــي تســتند إلــى تحديــد محــاور بعينهــا يهــتم بهــا الرحالــة أيــن ومتــى رحــل، وقــد تبنــى علــى أســاس رحلــة واحــدة أو رحــلات متعــددة متفرقــة، و هــذه المحــاور يحــددها شــخص الرحــال و تخصصــه العلمــي، و تركــز البنيــة الإنتقائيــة علــى انتقــاء الرحــال لأبــرز مــا كتبــه بنــاءا علــى هــذف محــدد أو انتقــاء موضــوع بعينــه أو ظــاهرة التتبــع المســتمر فــي كــل مكــان لهمــا، أو انتقــاء مــن رحــلات الأخــرين، أمــا البنيــة التضــمينية فهــي التــي تــرتبط بــأنواع أدبية أخرى(2)

1- جوزيــب بيــز الجــامروبي- وظــائف العنــوان- ترجمــة عبــد الحميــد بورايــو- وقــائع ســينمائية جديــدة- المطبوعات الجامعية-فرنسا- ع 82-س 2002- ص15

2- ناصر عبد الرزاق الموافي- الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري ص71

البناء الفني للرحلة:

يتبنى كل نص على مجموعة من الخصائص و البنيات التي تشكل معماريته و هي تختلف من نص إلى أخر تبعا لاختلاف طبيعة النص وكذا رؤية صاحبه و البناء العام للنص يشكل بلا شك أحد العناصر الأساسية التي تكون النصوص الأدبية السردية بما تحمله من أبعاد دلالية و رمزية يعتني المبدع في نسجها و هيكلتها أيما اعتناء (1).

ولهذا ركز البنيويون في جل أبحاثهم على الجانب البنائي قصد معرفة الوظائف الداخلية التي تمارسها عناصر البنية و التي بحركاتها ينبني النص و بهذا اكتسب الجانب البنائي أهمية كبرى، و لعل هذا ما حدا بالباحث (مصطفى البشير قط) إلى القول:" ليس نوع الخطاب هو الذي يحقق اللذة الفنية، و إنما الخطاب في حد ذاته بمقوماته الفنية و بنائه الداخلي بغض النظر عن نوعه و شكله(2) و تأكيدا على أهمية البناء الفني في النص ارتأينا أن نشير إلى موفق الباحث (سلمان علوان) الذي يرى أن البناء الفني في العمل الأدبي يشكل أساسا تشكيليا و جماليا من أسس عمل فني بلا بناء فني، و لا عمل فني له خصوصية بنائية معينة و مجددة تتلاءم و طبيعة هذا العمل، بحيث أن مفهوم البناء على هذا المستوى يعد حجرا الأساس في هيكلة العمل الفني.(3)

1-نجاة عرب الشعبة- خصائص البناء النصي- مجلة الموقف الأدبي- اتحاد الكتاب العرب- دمشق-ع 396- نيسان- س 2004-ص04

2-مصطف البشير القط- مفهوم النثر الفني و أجناسه، في النقد العربي القديم- دار البازوري- الأردن س 2009-ص 42.

3- سلمان علوان العبيدي- البناء الفني القصيدة الجديدة- عالم الحديث – الأردن- ط 2001-ص 09

ونستشــف مــن هــذا الكــلام نتيجــة مفادهــا أن دراســة البنيــة الفنيــة فــي أي نــص من النصوص شرط لابد منه لاكتشاف خباياه و معانيه.

وبمــا أن الــنص الرحلــي يــنهض علــى عناصــر تشــيد معمــاره الفنــي و تصــقل خطابــه مــن الآثــار الشــفوية و بصــمات التجربــة التــي أكســبت الــنص تلوينــات شــتى تحولــت ســاخنة وانتقلــت ســاخنة إلــى دفء المكتــوب وســط أشــكال غنيــة(1). فقــد ركزنــا جــل اهتمامنــا فــي هــذا الفصــل علــى البنــاء الفنــي للرحلــة، ولمــا كانــت اللغــة أداة مــن أدوات التعبيــر بوصــفها أحــد أهــم عناصــر البنــاء الفنــي فقــد ارتأينــا دراســتها فــي علاقتهــا مــع الأســلوب علــى اعتبــار أن اللغــة لا تنفصل عن الأسلوب ثم يأتي بد ذلك المنهج ليبين طريقة تدوين الرحلة.

هــذه إذن بعــض القضــايا التــي ارتأينــا أن نوضــحها للمتلقــي فــي هــذا الجــزء مــن البحــث فمــا هــي خصــائص البنــاء الفنــي لرحلــة ابــن بطوطــة؟وما طبيعــة اللغة و الأسلوب اللذين كتبت بهما الرحلة؟

أ- اللغة و الأسلوب:

تعتبــر اللغــة مــن أبــرز الآليــات التــي يســتخدمها الرحالــة فــي ترجمــة أفكــارهم ومقاصــدهم التــي يــروم إليهــا، بــل انهــا الجســر الــذي ينقــل عبــره كــل مــا تصــوره عدســته عــن مشــاهد رآهــا أو ســمع بهــا للمشــاهد أو المتلقــي فيــدعوه إلــى مشــاركته و استحضــار تلــك الصــور كمــا لــو أنهــا ماثلــة أمامــه خاصــة وأن" ابــن بطوطــة" فــي رحلتــه قــد بــدا حــريص علــى الســياق و دقيــق الملاحظــة. حريصــا علــى تتبــع جزيئــات الأمــور و تفاصــيلها" لأن الهــدف مــن تــدوين الــرحلات هــو الوصــول إلــى حقيقــة الإنســان ، ووضــعه فــي الكــون

شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي، ص280.

2- ناصر عبد الموافي- المرجع السابق- ص 75.

كاتب الرحلة أن يتحرى الصدق في عرض مشاهداته، فإن في ذلك يجعلها أكثر واقعية و هو ما ينطبق على رحلة "ابن بطوطة".

ولهذا يرى الباحث (ناصر عبد الرزاق الموافي) أن البناء المنطقي خير وسيلة لتحقيق الهدف، و هذا البناء يبدأ من الوحدات الصغيرة المتمثلة في الكلمة أو اللفظة أو العبارة و الفقرة، و ينتهي إلى الروح العام كله، يشمله و يربط بين أجزائه، ويسد ثغراته (1) من هذا المنطلق ارتأينا أن نبدأ بالألفاظ ثم نتدرج بعد ذلك الى العبارات فالأساليب و غيرها.

إن المتأمل في رحلة " ابن بطوطة " أن ألفاظها جاءت سهلة واضحة بعيدة عن التعقيد والخطأ، لأن الرحلة تتضمن معلومات تاريخية عند بلاد المغرب و أرض الهند، فهو وصفا يتم عن خبرة وثقافة عاليين لم نلمسهما عند من سبقه من الرحالين. ولكن هذا لا ينفي احتواء الرحلة على بعض الخصوصيات والمعلومات المتصلة بجوانب تتعلق بحياة المؤلف الشخصية، ومخاطبات ومساجلات مع أعيان عصره من فحول الأدباء و الشعراء ورجال الإفتاء من المغرب العربي وبلاد الشام، كما يحتوي على مجموعة من القصائد من نظم بعض أدبائه (2)

1- ناصر عبد الموافي-الرجع السابق، ص75

1- محمود الشرقاوي- رحلة ابن بطوطة – مكتبة الأنجلوالمصرية القاهرة- س 1968 – ص 40

وقد جاءت عبارات هذا النص الرحلي سهلة تخلو من الغرابة و الصور البيانية حصيلة قليلة لأن حرص " ابن بطوطة " على إظهار الحقائق كما رآها أو سمع بها في دخوله إلى تاريخ المغرب و المشرق.ومن أمثلة عن توظيفه للجناس نجد:" (أمينةٌ – منيةٌ) ومن الصور البيانية التي وردت في الرحلة: غرسته حبق فخرج لي بُوقنينة....(1) ومما تميز به أسلوب الرحلة أيضا كثرة اقتباساته من الشعر.

ب-المنهج: لقد اختلف الرحالون في تحديد أهدافهم من الرحلة فمنهم من كان هدفه علميا و منهم من كان هدفه دينا و منهم من كان ترفيهيا و اختلفت بذلك مناهج تدوينهم لرحلاتهم، ومن أهم هذه المناهج التدوين الزمني، التدوين لمكاني، التدوين الموضوعي، التدوين الانتقائي و التدوين ألاستدعائي.

ولما كان التدوين الزمني من أهم المناهج استخداما، و أكثرها تنوعا، و أضبطها و أوثقها(2) فقد آثر ابن بطوطة هذا المنهج في كتابه رحلته وهو ما يمكن أن نستشفه من قراءتنا للرحلة ولعل أهم ما يلحظ في هذا النص الرحلي هو عناية ابن بطوطة الكبيرة بعنصر الزمن فهو لا يكتفي بتقسيم رحلته وفقا لسنوات و الشهور و الأيام بل أنه يذكر حتى الساعات في بعض الأحيان الأمر الذي يؤكد دقة ابن بطوطة وواقعية الأحداث التي رواها فيها و من المناهج التي تؤكد اهتمام الرحالة بالزمن بكل تفاصيله قوله: الجزء الأول من رحلة ابن بطوطة المسماة بتحفة النظار في غرائب الأمطار مبدؤه من أول نهار الخميس 2 رجب عام 725 عربية لـ رابع عشر يونيو سنة 1325 مسيحية،

1-المصدر السابق، ص 40

2- عبد الرحمن حميدة- اعلام الجغرافيين العرب- دار الفكر- دمشق- ط2- س 1980- ص 455

و خامس شهور سنة 1325 مسيحية (1)

ولو تأملنا رحلة ابن بطوطة لأدركنا مراعاة صاحبها الترتيب في سرد الأحداث فيقول مثلا: أذن لي الشيخ و السلطان ابي عنان المريني أن أدون كل ما شاهدته.... وفي يوم الجمعة لقيت السلطان أبي عنان المريني وهكذا يواصل ابن بطوطة عرض أحداث رحلته حيث ينقل المتلقيالى عالمه يوما بيوم معتمدا على معاينته للواقع أو سماعه للأخبار، و مما يشعر المتلقي بصدق الرحلة و الرواية.

واعتمد في أكثر من موضوع في الرحلة على الاستطراد الذي يثقل الرحلة و يؤثر على منهاجها وأسلوبها في آن واحد، ولكنه يترك للقارئ مساحة للترويح عن نفسه، ولعل هذا ما كان يقصده ابن بطوطة من استخدامه" لتقنية الاستطراد في سوق أخبار رحلته، فما أن يذكر موضوعا من الموضوعات حتى تراه يندفع وراءه يشعبه بحثا و ملاحظة حتى أعماق جذوره و أدق" متعلقاته، و هطا بلا شك بعض نتائج ثقافة رحلتنا الرحبة و معارفه الواسعة، ولذلك فهو يحرص دائما على إمداد القارئ بأكبر قدر من المعارف و يكفيه في هذا المجال إشارة بسيطة حتى يزل قلمه،ولا يكتفي إلا بورود منابع موضوعه، فلا يذكر ملوك آل عثمان مثلا حتى تراه يفصل الحديث عن تاريخ و لا يتقدم حسب تسلسلهم الكرونولوجي(1).

1-فؤد قنديل –أدب الرحلة في الثرات العربي-مكتبة الدار العربية للكتاب- مصر-ط1 2002-ص490.

2-حنا الفاخوري- تاريخ الأدب في المغرب العربي-دار الجيل-لبنان- ط1 -1996-ص 303

ذلك أنه لا يربط بين أجزائه سوى الترتيب الزمني،و أنه قد اتبع في رحلته طريقة السنوات، أي أنه كان يسجل ما رأى و ما عاش و ما وقع من أحداث خلال سنة ثم ينتقل إلى السنة الموالية وهكذا و إذا أخذنا بالنص الموجود عندنا فالرحلة لا تتجاوز خمس سنوات أو ستة سنوات من عمر المؤلف، وهي لا ريب لا تعد شيئا بالنسبة لعمره الطويل الذي تجاوز بحسب بعض الآراء، السبعين عاما(1). ونحن نتفق معه في الرحلة و تشعب موضوعاتها، و على هذا يمكن أن نصل إلى نتيجة مفادها أن المنهج الذي سار عليه ابن بطوطة غير محدد، ولكن هذا لا ينفي القيمة العلمية و المعرفية التي تحتوي عليها.

ج- الوصف: احتل الوصف مكانة كبيرة في رحلة ابن بطوطة، التي كانت تمثل خطا طويلا منه، فهو يحمل أبعادا جمالية، بما يقدمه من رسم لملامح الشخصيات كما هو الحال في وصفه لأحد شيوخه"مجلسه عظيم الفوئد مليح الحكايات، وكان له قوة عارضة و مزيد ذكاء مع نزاهة و ديانة وحفظ مروءة و ضبط حال ..(2) أو ايضاءات عن الموقع و الأحداث حيث حاول الرحالة رصد ما شاهده و سمعه، وسجل كل ما وقعت عليه عينه من مشاهد شتى تتعلق ببلد الصين و بالبلدان التي زارها. فذكر مجموعة من الوديان و الأماكن و كل ما يتعاطاه الناس من مختلف الأنشطة و المناسبات و الأعياد و العادات و التقاليد و قل كل ذلك بدقة متناهية إلى كل حالت دون رحيلهم الأسباب و العوائق وقد استطاعت هذه الأوصاف أن تعبر عن انطباعات الرحالة، و ترسم صورة لشخصيته، فهو ينقل الأحداث و الأخبار،

1-محمد السويدي- رحلة ابن بطوطة- ج1- مطبعة الفنون- الجزائر 1989-ص 19

2-محمد السويدي- رحلة ابن بطوطة- ص 29

و يصفها بحيث تصل إلى عالم المحسوسات المدركة بالمشاهدة و السماع، بحيث يضفي ابن بطوطة على رحلته من مشاعره و عواطفه، و كشفت عن مكامن الجمال الطبيعي لمختلف المخلوقات الغريبة التي تشاهدها أثناء الرحالة تنقلاته و من ذلك وصفه لأحدى الغرائب لتي أثارت انتباهه و هو في شبه جزيرة العرب حيث يقول:" أن رأس هذا الوزير، اذا قطع ودفن، تخرج منه نخلة تتمر بتمر عظيم يعود نفعه على أهل الهند و سواهم من أهل الدنيا فقال له الملك" فإن لم يظهر من رأس الوزير ما ذكرته؟... قال:" قال إن لم يظهر فاصنع برأسي كما صنعت برأسه".فأمر الملك برأس الوزير فقطع، و أخده الحكيم و غرس نواة ثمر في دماغه، عالجها حتى صارت شجرة، و أتمرت بهذا الجوز، و من خواص هذا الجوز تقوية البدن(1).

والملاحظ أن وصف الرحالة في هذا المقطع كان دقيقا جدا وقد بدا فيه مهتما بذكر كل التفاصيل عن هذا الوزير الذي تحدث عنه.

و الملاحظ أن مادة هذه الرحلة قد تكونت و جمعت عن طريق التجربة الشخصية للرحالة، و عن طريق محادثاته مع شخصيات واقعية كان لها وجود روماني و مكاني و أبعاد تاريخية و جغرافية، تعرف عليها من خلال رحلته تحمل اسماءا و ألقاب بها أثناء الحياة الدنيا، و لهذا احتوت رحلة ابن بطوطة على كثير من الشخصيات العلمية ذات القيمة الأدبية أو الفقهية كالسلطان أبي عنان المريني....الخ.غير ان خطاب هذه الرحلة جاء متمحورا حول بطل الرحلة أو الرحالة و تجربته الذاتية و معرفته الموضوعية التي تؤكد بأن شخصيات الرحلة عاشت في عصرها و في حضارة ذلك العصر، و أثَرَت في الأحداث و هي بذلك تعكس جزءا من الحقيقة.

1-شوقي ضيف- الرحلات- دار المعارف- القاهرة-ط1-1979-ص49.

فكـان ابـن بطوطـة بـذلك رحالـة و كاتبـا و روائيـا و مؤرخـا سـجل لنـا الكثيـر مـن الأحـداث و الوقـائع و رغـم أن رحلتـه تتسـم بالواقعيـة و الصـدق الا أننـا استطعنا أن نكتشف فيه شخصية القاص المبدع.

د- الفضاء الزمني و المكاني للرحلة:

إن فعـل الرحلـة لا ينفصـل عـن الزمـان و المكـان، فـالزمن" عنصـر هـام فـي جسـد نـص الرحلـة، و عامـل مـن عوامـل ضـبط (1) ولهـذا مثلـت رحلـة انـب بطوطـة فـي زمانهـا كـل مظـاهر الحيـاة المختلفـة، ورصـدت جوانـب مـن حيـاة النـاس اليوميـة فـي المغـرب و الشـام خـلال فتـرة زمنيـة محـددة وهـي القـرن الثامن عشر ميلادي.

و الملاحـظ أن ابـن بطوطـة قـد بـدا فـي رحلتـه مهتمـا اهتمامـا ملحوظـا بالتتـابع الزمنـي للأحـداث منـد لحظـة الخـروج، حيـث اتبـع طريقـة العـد التصـاعدي للوحـدات الزمنيـة متخـذا شـكل المـذكرات اليوميـة ليـؤرخ تنقلاتـه ومشـاهداته، و مـن النمـاذج التـي تؤكـد دقـة ابـن بطوطـة فـي تحديـد عامـل الـزمن قولـه:" نهـار الخمـيس بعـد العصـر خرجنـا مـن طنجـة (2) و أيضـا فـي قولـه:" زرت جـزر المالـديف عنـد الـزوال مـن يـوم الأحـد سـادس و عشـرين رجـب مـن عـام 1345" (3)

فهـو يـذكر التـاريخ و الشـهر و اليـوم و الوقـت ممـا يضـفي علـى رحلتـه واقعيـة و مصداقية و يقر بها أكثر من متلقي.

1- صبحي طعان-زمن النص- مجلة المعرفة- ع 370- 1994- ص 137.

2- محمد السويدي- رحلة ابن بطوطة – ص 01.

2- المصدر نفسه-ص03.

وكما شكل الزمن فضاء القصة في الرحلة كان المكان اد لا يمكن الفصل بين الزمن و المكان حيث أنهما مرتبطان مع بعضهما البعض، وبأخدان، أهمية من ارتباطهما بالإنسان بحيث يتحول المكان من أوصافه الجغرافية والتاريخية ليصبح جزءا من التجربة الذاتية للرحالة.

ولو تأمل القارئ رحلة ابن بطوطة لوجد فيها فضاءات الأمكنة متعددة لعل أهمها:

مكان الانطلاق: ويتجلى في رحلة ابن بطوطة في المغرب وهذا ما استطعنا أن نستشفه من كلامه في بداية الرحلة حيث بقوله:" كان خروجي من طنجة يوم الخميس 2 رجب 725 هجري لـ سنة 1322 ميلادية" (1) وبهذا يمك أن تعتبر المغرب مكان الانطلاق و مكان الرجوع النهائي و عتبة الانتقال إلى أمكنة أخرى.

مكان الجسر: وسمي كذلك لأنه يمثل جسر للعبور من نقطة الانطلاق إلى نقطة الهدف والملاحظ أن ابن بطوطة قد وقف في رحلته على أمكنة عديدة منها: المدن والقرى والدشور والأضرحة والوديان والجبال، ومن النصوص التي يتمظهر فيها المكان بشكل جلي في الرحلة قول ابن بطوطة" وعند ما زرت قبر النبي هود عليه السلام، شرقي مدينة تريم في حضرموت قرب واد بوصفيحة.." (2)

ولما كانت رحلة ابن بطوطة إلى القارات الثلاث فقد كانت جل الأمكنة الواردة في هذا النص الرحلي، ومن المدن التي يتوافر ذكرها كثيرا في الرحلة، الهند، الصين، مالديف...الخ

1-محمد السويدي- رحلة ابن بطوطة- ج1- ص 01

2-عبد الهادي التازي- ابن بطوطة- أمير الرحالة- الدار المصرية- لبنان-ط1-س 2002- ص 78.

ونستشف من خلال ما سبق أن الزمان والمكان يشكلان معا فضاءا دائريا متعلقا يمكن اعتباره إطار خارجيا التي تعتبر نصا سرديا يتحقق في زمن وينطلق معه من مكان الخروج (طنجة) لتنغلق الدائرة في المكان ذاته عند الرجوع ، حيث يمتد فعل القص و سرد المشاهدات و الوقائع الاجتماعية والأحداث السياسية إلى جانب مراحل التكوين التي مر بها الرحالة ومن البقاع و الأماكن التي أحسن ابن بطوطة توصيفها بكل موضوعية وواقعية ما جاء في حديثه عن احد المواقع التي قال فيها:" ومنه تعدينا عالي بلاد يقال لها صور التي يضرب بها المثل في الحصانة والمناعة، لأن البحر محيط بها من ثلاث جهاتها، ولها بابان: أحدهما للبر، و الثاني للبحر وبناؤها ليس في بلاد الدنيا أعجب ولا أغرب شأنا منه..(1)

وصفوة القول تتجلى في أن ابن بطوطة لم يقتصر في وصفه على الأشخاص و الحيوانات بل وصف الأمكنة والأوضاع الاجتماعية و الجمادات و كل ما استطاعت أن تلتقطه عدسته من مشاهد منذ بداية رحلته إلى نهايتها.

أما الشخوص في الرحلة فتقول يمنى العيد:" إن الذات...بانتمائها إلى مجتمع و تاريخ، ذات متباينة بل متناقصة، و متصارعة و لو في صحتها ووعيها و الصراع في الرحلة رواية للسيرة، وهو بين الذات و ذاتها و داخل الـ (نحن) من جهة و مع آخر يتواطأ مع هذه الـ (نحن) و ضدها من جهة ثانية، فالذات في بعض الرحلات صورة محورية، حيث صورت الرحلة، سيرة أصحابها، و الواقع المعيشي، و الواقع المستمد من معايشة الآخرين، و هذا ما جعل الرحلات أقرب من الشكل الفني منها الى التسجيل الجغرافي (2)

1- حنا الفاخوري- تاريخ الأدب في المغرب العربي- ص 288

2-يمني العيد- السيرة الذاتية الروائية- مجلة فصول- المجد 15 –ع 4- ص 20.

و القارئ لرحلة ابن بطوطة يلاحظ توفرها على شخصيات متناهية ومتعددة الأحوال و المستويات الاجتماعية منهم العلماء، و الشعراء و التجار و الأدباء و غيرهم.

ولعل الشخصية التي اعتمدها الرحالة في المقام الأول هي شخصية الرحالة و هي شخصية محورية كفلت الترابط بين أجزاء العمل الواحد فحضوره دائم و فاعل، حيث يكفل الوحدة الموضوعية للعمل و يضفي عليه السمة الفنية.

(ولاته، الشيوخ الذين نقلى عنهم) منذ بداية الرحلة التي قطعها الرحالة.

هـ - الحوار:

تحفل رحلة ابن بطوطة ببعض المواقف الحوارية التي تؤكد الصبغة الأدبية لها و تضفي عليها حيوية وواقعية تقريبا أكثر من المتلقي وتشعره بصدق الرواية و من أسئلة هذه الحوارات ما ورد على لسان ابن بطوطة في الرحلة حيث ذكر أنه ناقش السلطان أبي عنان المريني:" فقلت: أتقول بتفضيل الملائكة على الرسل في قوله:" حضرت مجلس الشيخ سيدي احمد الوزري..فقلت: أتقول بتفضيل الملائكة على الأنبياء ولم نستثن محمد صلى الله عليه و سلم؟ قال لي:أوليس يقول الله تعالى: علمه شديد القوى، و هو وجبريل، و لا شك أن المعلم أفضل من المتعلم؟ ثم لما أكثر علي، قلت له: إني لم أستحضر الجواب.." (1)

ويبـدو أن ابـن بطوطـة قـد أدرك أهميـة تزويـد رحلتـه بعنصـر الحـوار ووظفـه فيهـا لكونـه مـن أهـم العناصـر التـي يجـب أن يـزود بهـا الرحالـة عملـه، فهـو يتـيح الفرصـة للشخصـيات لتظهـر ظهـورا حـار، فتعبـر عـن نفسـها، كمـا أن الحـوار يؤكـد السـمكة الأدبيـة لكتـب الـرحلات (1) بـل إننـا نجـد الباحـث ناصـر عبـد الـرزاق المـوافي يـذهب فـي تأكيـد ضـرورة وجـود الحـوار فـي الـرحلات الـى أبعـد مـن ذلـك فـي قولـه " إن الحـوار يعـد عامـل إنقـاذ و إيقـاظ، إنقـاذ للعمـل إلـى أبعـد مـن التـردي فـي تـرك الذاتيـة المسـرفة أو الاسـتطراد فيهـا لا يفيـد، و إيقـاظ القـارئ و تنشـيط لذهنـه لمـا يتضـمنه الحـوار مـن حيويـة و فكـر متعارض، أو جدل يستلزم الانتباه (2).

1-ناصر عبد الرزاق الموافي- الرحلة في الأدب العربي-ص 79.

2-المرجع نفسه- ص 80.

2- مضامين الرحلة و موضوعاتها:

تحتوي رحلة ابن بطوطة على موضوعات كثيرة و متعددة غير مترابطة فيما بينها و لا يمكننا أن نشير إليها جميعا و لكننا سنكتفي بالإشارة إلى بعضها الآخر في الفصل اللاحق، و قد تبين لنا بعد قراءة هذه الرحلة أن هذه الموضوعات تنقسم إلى شعرية و نثرية.

أ- الشعرية:

من الملاحظ في رحلة ابن بطوطة المغربي يلفي أن صاحبها ضمنها عددا كبيرا من الأشعار له و لغيره من الشعراء في مختلف الأعراض الشعرية، و لا غرابة في ذلك لأن الشعر له وجود ملحوظ في معظم الرحلات حتى أنه يعد من محكيات الرحلة مثله مثل الأحاديث و الأخبار و المشاهدات و القضايا اللغوية و غيرها (1).

ولهذا عدت الرحلات عموما و رحلة ابن بطوطة خصوصا من أهم المصادر التي حفضت لنا الكثير من النصوص الشعرية من الضياع، بل إنها تضمنت نصوصا شعرية ربما قد لا نجدها في مصادر آخري، فلو لم يوظف ابن بطوطة هذه الأشعار في رحلته لما أمكننا التعرف عليها و لا على أصحابها و لا على الأغراض التي قيلت فيها.

إن تضمين الشعر في هذا النص الرحلي احتل فضاءا ضمن فضاء الرحلة النثرية ليصبح بنية و موضوعا أساسا في النص و استمرارا لسياق النص و تنويعا له ليصبح المتضمن جزءا لا يجوز فصله عن الرحلة، ولعل توظيف ابن بطوطة لهذه الأشعار مرده إلى كثرة محفوظاته و ثقافته

1- نوال عبد الرحمن الشوابكة- أدب الرحلات الأندلسية و المغربية- حتى نهاية القرن التاسع الهجري- دار النشر و التوزيع- لبنان- ط1- س 2001-ص 276.

الشعرية وقد يقصد بها من وراء هذا التوظيف إبراز مهاراته و قدرته في النظم و النثر.

والقارئ المتصفح لمتن الرحلة يجد أن معظم صفحاتها تحتوي على أبيات شعرية و التي كان يأتي بها عادة للتدليل على بعض المسائل و أحيانا يوشح بها مقدمات كلامه و خواتمه، و يمكن لنا أن نصنف هذه الأشعار إلى صنفين:

أشعار دونها ابن بطوطة بنفسه:

وهي في مختلف الأغراض و هو ما استطعنا أن نستشفه من خلال كلامه في الرحلة حيث يقول:"

سَمَوْتُ فَلَمْ يَكُنْ بِقُرْبِكَ نَازِلْ فَكُنْتُ فِي أَوْجِ العِز تُمْطِرُ بالسُوالِ (1)

وقد سجلها في رحلته الى مدينة تطوان ووجهها الى الشيخ ابن جزئ، وهي قصيدة لامية تبلغ اثني عشر بيتا.

والقصيدة الثانية في ذم أولاد مختار بالمغرب على بخلهم حين مربهم ابن بطوطة و هو في طريقه من تطوان إلى مكناس و قد عبر فيها عن الخوف الذي ساوره هو ورفاقه، لأن ليلتهم كانت محفوفة بالخطر من أولئك القوم وتبلغ القصيدة تسعة عشر بيتا مطلعها:

وَلَيَلةِ مُخْتَار َيبِيتُ بِهَا هَــم مَدَى الدَهْرِ لاَ يُرْجَى يَحُور عَنِ الهَمِ

وَآلْ قُرَيْم كُلَهُم مَجْمَعُ الرَدَى يُسِنونَ بِالأَضْيَافِ فِي القَوْلِ وَ الحُكْمِ (2)

1-فؤاد أفرام البستاني- الروائع- ديوان المطبوعات الجامعية- لبنان- س 1950ص 50.

2-المصدر نفسه- ص 344

قصيدة أخرى يصف فيها غرناطة أنها أنسب الى العصبية و التي كان مطلعها:

رَعِـيَ اللهُ مِـنْ غَرْنَاطَةَ مُتَبَوأْ يُسِـرُ حَزِينَا أَوْ يُجِيرُ طَرِيدًا

تبَرَمْ مِنْهَا صَاحِبي عِندَمَا رَأى مَسارِحُهَا بِالثَّلِجِ عَدْنٌ جَلِيدًا (1)

قصـيدة فـي مـدح الفتـى العجيـب، الـذي نشـأ بالباديـة،و لـم يطلـب العلـم و أنـه نبـع الشعر الجيد الذي يندر وقوعه من كبار البلغاء و صدرو الطلبة مثل قوله:

يـا مَـنْ اخْتَارَ فُـؤَادِي مَنْزِلاً بَابُهُ العَـيْنِ التـِي تَرْمُـقُهُ

فَتَحُ البَـابِ سَـهَادِى بَعْدُكُمْ فَابْعثُوا طَيْـفَكمو يَغْلُقُهُ (2)

هـذه إذن نمـادج مـن أشـعار ابـن بطوطـة وجـدناها مثبوثـة فـي رحلتـه فارتأينـا الإشارة إليها لكونها تشكل نمودجا لصاحبها و لشخصيته و أسلوبه.

-أشعار لغيره:

و هـي كثيـرة جـدا منهـا قـول بعـض الشـعراء و قـد أحضـرت بـين يـدي " الصاحب" أُترُجة

لله أتْرُجٌ غَدَا بَيْنَنَا مُعَبِرًا عَنْ حَالِ ذِي عَبرَةِ.

كَمَا كَسَا اللهُ ثِيَابَ الصَنَا أَهْلَ الهَوَى وَ سَاكِنَى البَصْرَةِ (3)

1- محمد السويدي- رحلة ابن بطوطة ج2- ص 344.

2المصدر نفسه- ص 347

3- عبد الهادي التازي – ابن بطوطة – أمير الرحالة- ص 52.

عن قوله ابن رزيق البغدادي:

مَا آبَ مِنْ سَفرِ إلاَ وَ أَزْعَجُهُ رَأْيٌ إلَى سَفَرِ بِالعَزْمِ يَجْمَعُهُ (1)

كَأنَهُمَا هُوَ مَنْ حِل وَ مُرْتَحَلٍ مُوَكلٌ بِفضَاءِ الله يَذْرعُهُ.

و منها أيضا قول الشريف الإدريسي:

دَعْنِي أَجُلْ مَا بَدَتْ لِي سَفِينَة أَو مَطِية

لاَبُد يَقْطَعِ سَيْرِي أُمْينةٌ أَو مَنِيةٌ (2)

لقد قام ابن بطوطة برحلات متعددة كان يتعرض فيها إلى تجارب متنوعة متنوعة و تعرضه في عدة مرات إلى الخطر حتى عندما قام بزيارة إلى الأندلس و السودان

ب- النثرية:

ان من المعتقد عند التأمل في رحلة ابن بطوطة يستشعر و كأن صاحبها أراد أن يكسر رتابة الحكي أو السرد بإدخاله لبعض الفنون في ثنايا رحلته كالقصص و الحكايات و الأساطير، حتى يترك للقارئ مسافة للترويح عن نفسه بإقحام هذه الفنون في الرحلة و إن كان يجعلها ثقيلة أحيانا إلا أنه كان لها دورا ايجابيا يتمثل في إضفاء السمة الأدبية و الجمالية على الخطاب الرحلي فأمسى و كأنه فسيفساء جمع فيه الرحالة بين التاريخ و الحكي و القصص، الأمر الذي يجعل القارئ يحس أنه بطابع مجموعة من الكتب لا كتابا واحدا، و من هذه الفنون ما يلي:

1- عبد الهادي التازي-ابن بطوطة امير الرحالة- ص 17.

2-محمد السويدي- رحلة ابن بطوطة – ص 17

الحكايات و القصص و الأساطير:

تحتوي رحلة ابن بن بطوطة على الكثير من القصص و الحكايات التي اختارها صاحبها ووظفها بعينة الترويج عن القراء و إضفاء السمة الأدبية عليها لأن في هذه القصص ما يكسر رتابة الواقع فيجعل الرحلة على الرغم من كونها واقعية تستند إلى الخيال و يمكن أن ترجع ذلك أيضا إلى رغبة دفينة لدى صاحب الرحلة في العزوف عن هذا الواقع عن طريق هذا النمط من التوظيف، و من القصص الأسطورية التي أوردها ابن بطوطة في رحلة قصة سراج الدين و حلمه وهي أسطورة عربية عن القضاء والقدر(1) وكذا قصة ابن المؤيد الهجاء وقصة الصالحين اللبنانيين وحمار الوحش هذا فضلا عن توظيفه لقصص أخرى كقصة بطيخ الشيخ إبراهيم.

1-محمد السويدي- رحلة ابن بطوطة –ج1- ص 121.

رحلاته و تأثيرها على أدبه:

لا مندوحة لنا من الاعتراف بان جل ما كتبه ابن بطوطة في رحلته ما هو إلا نتاج لرحلاته المتعددة إلى المغرب و المشرق، بل لم تكن هذه البلاد وحدها مقصدا لابن بطوطة فقد لمح في رحلته بأنه زار بلدانا أخرى، وكان كثيرا ما يجري مقارنات بينها وبين ما رآه، ومن بين الأقطار التي ذكرها ابن بطوطة في رحلته إلى مصر وقد أثبتت جل المصادر، بأن ابن بطوطة كان كثير الأسفار وقد أقر هو بنفسه بهذه الحقيقة في قصيدته قالها في السلطان عبد الله:

وَجُبْتُ بِلاَدَ التُركِ وَ العَجَمِ و العرب عَلى قَدَمِي طَوْرَ وَ طَوْرَا على الحُمْر(1)

وبناء على كلام ابن بطوطة نفسه فإن رحلاته كانت متعددة وليس المغرب إلا واحد من أسفاره، و ربما يرجع اهتمام ابن بطوطة بالمغرب و الكتابة عنه هاجسا أثر في نفسه مما جعله يكتب عنه دون غيره وكما اختلفت البلدان و الأقطار التي قصدها الرحالة اختلفت أيضا الوسائل فكان يسافر إما عن طريق البر أجلا أو ممتطيا ظهور الحمير وإما في البحر عن طريق المراكب كما هو الحال في رحلته إلى مصر و لا شك في أن ابن بطوطة قد صادف أثناء أسفاره و إقامته بهذه البلدان العلماء خاصة وأن رحلته كانت بسبب طلب العلم وأداء فريضة الحج، كما أنه صادف العامة وتجول في أسواق هذه البلدان و تعرف على أحوالها الاجتماعية و السياسية و الاقتصادية و عاصر بعض المواقف و الأحداث، ليرجع بعد ذلك إلى بلده المغرب و هو يحمل مزيجا من الثقافات فيدون رحلته " تحفة النظار في غرائب الأمصار" وذهنه ممتلئ

1-حنا الفاضوري- تاريخ الأدب في المغرب العربي- ص 297.

بـزخم معرفـي وحمولـة ثقافيـة لـم يجـد ابـن بطوطـة مجـالا لإفراغهـا سـوءا بكتابـة هـذه الرحلـة، فـدون فيهـا كـل مـا جـاءت بـه قريحتـه و كـل مـا صـادفه فـي ذلـك الأمصـار و الأقطـار. لتبـاين حضـور ثقافـة الآخـرين فـي رحلتـه و تأثيرها فيمها، ارتأينا أن نقسم كلا منها كما يلي:

أ- التفتح الثقافي:

إن سـمة التفـتح الثقـافي (المثاقفـة) مـن أبـرز السـمات فـي الـرحلات إذ لا يمكـن للرحالـة أن يتحـرر منهـا، ويقصـدها بالثقافـة تبـادل الأثـر والتـأثير مـن حيـث انتقـال الأفكـار فـي صـورة ايجابيـة (1) أو تلاقـح الأفكـار وامتزاجهـا ودوبـان الـنحن فـي الآخـر، و الآخـر فـي الـنحن، بحيـث يسـتفيد مـن عمليـة المثاقفة للطرفين معا ويتبادلان الثقافة.

والجـدير بالـذكر أن الـرحلات عمومـا ورحلـة ابـن بطوطـة علـى وجـه التحديـد شـكلت لونـا مـن ألـوان التبـادل الفكـري والأدبـي، إذ مثلـت واسـطة احتكـاك بين الثقافات المختلفة.

ومنـه أدت الرحلـة دورا كبيـرا فـي الكشـف عـن مختلـف الثقافـات الإنسـانية القافيـة و اللغويـة و الدينيـة، وجوانـب الحيـاة اليوميـة فـي المغـرب والمشـرق البيئة- الملمس- و العادات و التقاليد...

وكثيـرا مـا كـان الرحالـة يقـارن بـين واقـع مجتمعـه (المغـرب) وواقـع المجتمعـات الأخـرى التـي قصـدها (الجزائـر- تـونس- مصـر...و غيرهـا) حيـث اتصـل الرحالـة بشـعوب البلـدان التـي قصـدها، ثـم انتقـل إلـى شـعوب أخـرى و ثقافـات جديـدة، وعـاد بعـد ذلـك إلـى بـلاده بشخصـية صـقلتها التجارب، و بثقافات مختلف الأمصار والأقطار.

1- جمـال حضـري- سـؤال المثاقفـة و توليـد المعـايير النقديـة، حوليـات التـراث مجلـة دوريـة محكمـة تصدر عن كلية الآداب، جامعة مستغانم. سبتمبر 2004.ص 27.

ولم يقف الأمر عند انتقال الرحالة الجزائريين إلى "المغرب و المشرق"بل إن علماء المغرب و المشرق كان يتقدمون بالمجيء إلى الجزائر أيضا و هذا ما ساهم من نمو الحركة العلمية و الفكرية في المغرب والمشرق و الجزائر كما هو وارد في الرحلة على لسان " ابن بطوطة" اتجه إلى مدينة تلمسان (الجزائر) والتي بقي فيها ثلاثة أيام فقط،ثم واصل رحلته في رفقة رسولين من تونس إلى ابن تاشفين، و هكذا بدأت رحلة أين بطوطة من أقصى الشمال الغربي (من طنجة) مخترقا الساحل الشمالي للمغرب العربي (المغرب -تونس-الجزائر) حتى وصل إلى مصر (1).

ويتضح من هذا الكلام مدى اهتمام الجزائريين وشغفهم بالعلم كما يستشف أيضا أن هناك روابط عديدة و صلات كثيرة تربط بين البلدان و التي بإمكانها أن تصبح عوامل تمازج ثقافي و تفاعل فكري.

وبهذا الخصوص فقد قدمت الرحلات تصورا واضحا عن مدى تنوع و اختلاف في العادات و التقاليد، ونقل الرحالة صورا واضحة عن كل المناطق التي قصدها، ليؤكد أن الثقافة الإنسانية متنوعة و متعددة لجميع المناسبات و تقاليد الشعب الأخر (المغربي و المشرقي) وعكس بذلك حقيقة التفاعل بين الإنسان و المجتمع.

ويعتبر الحج باعتباره مناسبة دينية أحد أهم عوامل التبادل الثقافي بحكم اختلاط الشعوب و امتزاجها، وبما أن رحلة "ابن بطوطة" كانت علمية فإن حديثه عن المناسبة لم يكن واردا في رحلته كما أن تواجه الأماكن المقدسة بالمشرق و توجه كذلك للمغرب حال دون حديثه عن ذلك (2)

1- محمد السويدي- رحلة ابن بطوطة- ج1- ص 01.

2- المصدر نفسه- ص 125.

وهذا ما كانوا الباحثون يتطلعون عن مراكز الإشعاع عند أهل "المغرب" من علم و معرفة إلى " الجزائر" فهذا يعد تهيئة وفرصة للإفادة المتبادلة بين الثقافات و تقريب الأفكار.

وصفوة القول تتجلى في أن الرحلات كان لها دورا بارزا في تلاقح المعارف و تزاوجها فبفضل الرحلة استطاع الرحالة التفتح على ثقافة الأخر كما استطاع أيضا أن ينقل ثقافته إليه فأصبح جسرا لعبور المعارف و التقاطها في آن واحد.

ب-تجنيسها:

إن الأجناس الأدبية تتمايز فيما بينها من حيث طبيعتها وتقاليدها الفنية و عناصر تكوينها وهذا ما يؤكده الباحث محمد غنيمي هلال في قوله:" إن الأجناس الأدبية لها طابع عام وأسس فنية بها يتوحد كل جنس أدبي في ذاته و يتميز عما سواه (1).

وما دامت الرحلات جميعها تشترك في مجموعة من الخصائص وتتفق في مضامينها وتتمتع بسردها المميز النابع من بنية أو تيمة السفر، هذه السمة التي تجعل من أدب الرحلات جنسا أدبيا مميزا يستحق أن يجد لنفسه مكانة في خانة الأجناس الأدبية، كما أن الاختلاف الحاصل بين الباحثين و النقاد الذين سبق ذكرهم من قبل من شأنه أن يؤكد " الطابع الأجناسي للرحلة باعتبارها خطابا ذو خصوصيات مستقلة ولغة وبناء فني مميز (2).

1- محمد هلال غنيمي- الأدب المقارن- دار النهضة مصر للطباعة و النشر القاهرة- 1988- ص 118

2-شعيب حليفي- الرحلة في الأدب العربي- ص 43

وبمـــا أن أدب الـــرحلات هـــو فـــن قـــائم بذاتـــه، لـــه أصـــوله وقواعـــده، التـــي تتـــيح لـــه قـــدرا كبيـــرا مـــن المرونـــة و القـــدرة علـــى التطـــور و التضـــلون حســـب كـــل فـــرد وعصـــر وبيئـــة وعمـــران فـــإن ذلـــك يمـــنح أدب الـــرحلات خصوصـــية أكثـــر ممـــا يجعلنا نصنفه وتجنسه في إطار محدد (1)

ومنــــه كانــــت أســــباب هــــذه الرحلــــة مــــن المغــــرب إلــــى المشــــرق، حــــول اضــــطرابات الآراء و اخــــتلاف الأقــــوال وأن مجملهــــا تتفــــق علــــى أنهــــا سياسية، تاريخية.

1-أبــو قاســم ســعد الله- تجــارب فــي الأدب و الرحلــة – المؤسســة الوطنيــة للكتــاب- الجزائــر -1983 ص 268.

الخاتمة

في ختام هذا الموضوع، لقد توصلنا من خلال رحلتنا مع هذا البحث إلى جملة من النتائج نلخصها كالآتي:

إن مفهوم أدب الرحلة غير قار و مختلف حوله.إذن تتقاسمه مجموعة من الاختصاصات كالتاريخ و الجغرافيا، و علم الاجتماع، إلا أن الحقل الأكثر اقترابا من الرحلة هو الأدب على اعتبار أن فن السرد جزء منه.

أدب الرحلة أدب مفتوح له القدرة على الجمع بين عدة أشكال أدبية فهو يأخذ من التاريخ و السيرة مما يمكن القول بأنه نص جامع يفلت من كل تأطير و تصنيف.

لقد استطاع أدب الرحلة أن يتخطى كل القواعد و القيود بذلك نظام الأجناس، و بهذا يمكن القول بأنه نص جامع يفلت من كل تأطير و تصنيف.

لقد استطاع أدب الرحلات أن يتخطى كل القواعد مخترقا بذلك نظام الأجناس الأدبية، و بهذا يمكن القول بأن أدب الرحلات هو ادب غير محدود و من غير الممكن أن يتحدد أو يصنف في خانة معينة و الدليل على ذلك اللبس الذي وقع فيه الباحثون أثناء حديثهم عن هذه الإشكالية (التجنيس) هذا الصنف من الأدب.

يعد نص رحلة ابن بطوطة نصا هجينا يمتاز بتعدد موضوعاته و تشبعا و هو يحوي بين طياته مجموعة من المعارف الاجتماعية و التاريخية قد يتعذر على الباحثين في علم الاجتماع الحصول عليها من مؤلف آخر إذا ما يتعلق الأمر بالفترة العثمانية.

استطاعت رحلة ابن بطوطة أن تجيب عن كثير من الأسئلة التي تقلت المؤرخين و الباحثين، كما أنها شكلت ردا على الذين قالوا بغياب

المدونات التي تحكي عن صورة المغرب، وأن أغلب مصادرها مستوحاة من مراجع أوربية.

لقد استطاع ابن بطوطة من خلال هذه أن يعكس اهتمامات واضحة بميدان الحياة الاجتماعية و المظاهر الاقتصادية و مختلف الأنشطة مما يدل دلالة واضحة على واقعية الأحداث، كما يدل ذلك على سعة إطلاعه و خبرته في معاينة المواقع في تصوير حياة الناس في ذلك العصر.

لقد تمكن ابن بطوطة من خلال رحلته من رسم صورة عن المشرق و المغرب بواقعية متناهية وصدق ووصف حتى يلم عن عبقرية هذه الرحالة و دقة ملاحظاته و حسن التقاطه للصور و المواقف، فرصدت رحلته بذلك تنوع المعالم الحضارية في مختلف الجوانب الحياتية في الأقطار السالفة، و عكست صورة واضحة عن أحوال الشعوب و عاداتها و تقاليدها.

وحيز ما نختم به كلامنا قول الله عز وجل في سورة يوسف" وفوق كل ذي علم عليم" صدق الله العظيم.

الفهرس

الفهرس